رواية

كلّ الزّوايا مُؤلَّمة

الجزء الأول

المؤلف

إيمان منير حناوي

دخل المقهى، تأمّل المكان ثم جلس .تلك المرة الأولى التي يدخل فيها هذا المكان، كان شارد الذهن

كميل الشاب الوسيم، في الأربعين له جاذبية خاصة وكأنه خضع لجلسات برونزاج ، ملامح التعب واضحة على وجهه،

تمسحها ابتسامة عتب من ذكرى مرّت في خاطره

كميل ودخان سيجارته يتكاثف ليخترقه صوت الموسيقا التي تملء المكان المزدحم . في الركن الآخر من المكان : هي

روان ترقص على أنغام موسيقى تحبها، ترقص بطريقة تعبر فيها عن معاني الأغنية التي تستمع إليها، وهي في غاية الرضا والسعادة ،

وشفتيها ترسم كلمات الأغنية

مجنونة : صديقها الجالس على الطاولة بإشارة منه، واصفا إياها ضاحكا، فتشير له بيدها أن ينضم إليها ولا يمانع بعد إلحاح منها

كان رقصهما معا مشهد عادي ، فهو يتكرر كل ليلة .الجميع جالس منصرف لشؤونه، بسيجارته، بكأسه ، برفيقته ، بهمّه ، بلهوه

ملاذ شاب في الثلاثين من العمر، عينان خضراوان ، وهي كل ما فيها بسيط وجميل لها جاذبية لا تستطيع أن تقاومها

عينان لوزيتان واسعتين بنيتان مع وجه مستدير وشفتين رقيقتين ، النمش الخفيف الذي رسمته الشمس بعناية وحذر على خديها الممتلئين

كي لا تخدش جمالهما ، طويلة القامة مرسومة التفاصيل، النهدين كانا صغيرين بل لم يكونا قد قررا أن يدخلا مرحلة المراهقة رغم اقترابها الثلاثين

من العمر وشعرها الغجري الذي تمرد كروحها، روحها الفوضوية ككل شيء تحبه

_ كانا يرقصان ببراءة، حركات منسجمة

وقف عامل المقهى على المنصة ليخبر الجميع أن الموعد حان لإغلاق المكان

وعلى الجميع أن يرحل إلى بيته، لماذا ؟؟ لديهم أسبابهم ، اعترض الجميع فالساعة لم تتجاوز الواحدة ليلا

سارع ملاذ للصعود الى المنصة أمام تشجيع الحاضرين بالتصفيق والصفير والتحية ، ليغني بصوته الجميل

هذه المرة شارك الجميع بحماس وهي، هي بضحكاتها الصامتة المجنونة وتعابير وجهها التي لا تخفيها

ببراءة ترقص وترسم كلمات الأغنية على شفتيها مشيرة إلى نفسها وهو يغني مشيرا لها وسط المشجعين

(كلن عنك سألوني لما وحدي شافوني) ، كأن لا يوجد هم آخر، فقط تلك اللحظة التي توقف عندها الزمن

اللحظة التي كانت تدور حول كميل الجالس في مكانه يراقب ما يحدث دون تأثر

وقف مقررا الرحيل، وسط كل ما يحدث ، يغادر بصمت وزفرة تعبر عن انهزامه أمام ذكرى مسيطرة

يغادر دون أن يقوى على تفادي من يمر بطريقه.

2

لماذا كل هذا الجنون !! أفّ

شعر بالندم لدخوله ذلك المكان , عام من الهدوء حتى يرحل كل هذا الضجيج من رأسه

أمّا تلك الحمقاء التي كانت ترقص، على ماذا ؟! ولماذا كل هذا الشغب ! فوضوية , مؤكدا

جلس يشاهد توم آند جيري : كان يضحك بصوت عال جدا على كل فعل يقوم به جيري ، كان يضحك وكأنه يعبر عن غضب داخلي

لا يستطيع البوح به إلا بهذه الطريقة . تمدد على السرير مؤكدا لنفسه بصوت محتد ما هذا العالم !؟

لم يكن معتادا الدخول إلى أماكن مزدحمة صاخبة، يميل إلى الهدوء والسكينة في جلّ وقته ، ضجيج المكان وضجيج الرؤيا عالق في ذاكرته

أغمض عينيه ليغفو إلا أن فكره بقي مستيقظا

كميل " صوت جلال شريكه في المنزل ، كميل "" رح اعمل فطور ، جاي هبة ، كمان ليش تارك باب غرفتك مفتوح ما في بالعادة ؟!

يدخل المطبخ ، صوت قرقعة، جلال يبربر لأمر لا يعجبه ، كل صوت كان بالنسبة لكميل كارثة ، فتح عينيه بدا كأنه يتأمل الحياة ،

يتنفس بعمق من أنفه ليخرجه من فمه ، ليعود مرة أخرى فيأخذ نفس من فمه ملء صدره ، كأن كل ما كان ينقصه في تلك اللحظة

الأكسجين , ويعكر مزاجه . صوت هبة " حركتها في الصالون

يحاول التأكد مهتما بالإصغاء ، فهو لم يسمع صوت الجرس أو الباب ، يقف بباب غرفته ، تتجول عيناه في المكان مثقلا

أشياء هبة ، صوتها قادم من المطبخ ، هي وجلال يتجادلان ، تقطع عليه تأمله : صباح الخير

سألها ببرود وامتعاض دون تفكير : مفتاح البيت معك !!؟

3

الخصوصية

كميل : الخصوصية عشقه، لكن الظروف أرغمته أن يشارك جلال البيت فلم يكن قد وجد مكان يحبه كما أحبّ هذا البيت

ومن لحظة دخوله إليه .كان ضيفا في البداية ، ولكن الظروف المالية التي مرّ بها زياد أجبرته على قبول كميل في البيت كشريك

مقابل أن يدفع ما عليه من التزامات مالية مترتبة عليه .

لا يوجد قهوة ، هذا سبب جعله يفكر بالخروج من البيت ، فالحياة دون قهوة أمر يكاد يكون صعب عليه

والسبب الرئيسي حقيقة (الخروج هربا)

نعم هربا من جدال هبة وجلال المتواصل على أمور هو يراها سخيفة، ولكن بالنسبة لهما كانت أمر مهم

وقف بالباب .... بدكن شي ؟

التفتا إليه ... كان أمرا غريبا ، كأنه يقول لهما أنا هنا ، وسأرحل هربا .

الصمت ... صمت الشارع كان رحمة بالنسبة إليه

بعد ضجيج حديثهما ... روحه مثقلة ،اليوم عطلة لم يكن أحد قد غادر منزله بعد ، وكل شيء من حوله هادئ وخالي

إلا من قطة كانت تقف تتأمله ، وكأنها تعرف موعد مروره حتى أنها لم تكن تشعر بالخوف

تأملها بابتسامة مستنكرا محدثا نفسه وهو يمشي ...

_ أكتر شي بكرهو بحياتي القطط من الحيوانات طبعا لأن بكره كتير أشيا أوما عندي شي حبو أصلا ، ويضحك من أعماقه ساخرا من نفسه .

4

تأمل كميل نفسه في المرآة وشعوره بالأسى والغربة

وأخذ يردد في أعماقه بعشوائية : أنا عداد حزن ، أنا حجر من بركان

تناثرت روحي ، وجسدي مزقه طعن اللئام أمي عذبتني حتى بقيت رماد إنسان

صوت أغاني يحبها كميل وحركة جلال في الصالون يتجول في المكان ويمدح القهوة التي أحضرها

_ ولك آآه يا كميل . عفكرة أنا حاسب حسابك .. يعني مو حلوة ساوي قهوة لحالي بس

جلس كميل قبالته وهو شارد الذهن غارق في تفكيره

_ بالله شحدنا سيكارة مو طيبة القهوة بلا دخان تابع جلال حديثه وهو يشير بيديه موضحا

منقلا يديه بين السيجارة التي انتزعها من علبة الدخان الخاصة بكميل والقهوة والشرح

يميل كميل لمحاولة الابتسام بحزن وعيناه مسافرتان بعيدا ، جلال يتحدث عن مستقبله مع هبة وكأن الأمر يعنيه

عاش كميل فترات من عمره متنقلا بين قسوة الحياة وقسوة والديه ، كان من عائلة مؤلفة من أربع أخوة وشقيقتان

كان ترتيبه الثالث

الذكرى . عندما كانت تخترقه يتنهد بحسرة ويبقى لأيام مكتئب دون أن يشعر به أحد

مشاعر كميل كانت تتأرجح بين الكره واللّوم لما فعلته أمّه به وبين محاولة التبرير لها ، كان صراعا دائما

وفي كل مرة كانت الغلبة لأحدهما ، إمّا الكره وإمّا الشفقة ، وفي كلتا الحالتين الويل له .

كان جلال يتحدث عن تحضيرات العرس وكيف أن هبة تبالغ في إعطائه تلك الأهمية

المهم أن يكونا سعيدين معا ولا يكون ذلك إلا بالاقتصاد في المصروف حتى لا يقعا في الدين

فتتحول حياتهما إلى نوع من الوفاء بالالتزامات المادية وهذا ما يقلقه.

يشعل كميل سيجارة ويتمدد على سريره ، يأخذ نفسا عميقا

تقفز والدته إلى مخيلته . والدة كميل امرأة قصيرة ممتلئة تتميز بزنود وذراعين عريضين

ورأس صغير لا يتناسب مح حجم الجسم . الدخان بالنسبة لها أهم من أي شيء آخر

جملتها الشهيرة (بس ما انقطع من الدخان)

سارع كميل ليطفئ السيجارة التي بيده ولم يكن قد اكتمل احتراقها بعد

كأنه يطفئ ذكرى أمّه معها . كانت قد اغرورقت عيناه حين تذكر ما فعلته، فقد خبأت الخبز من طريقه

كانت تفعل ذلك دائما ، تخبئ الخبز . السكر وكل ما تعتقد أنه سيتناوله

المهم أن تعمل على حرمانه ، كانت تتجرد من مشاعر الأمومة ، تسارع نبض قلبه غضبا

لينطوي على نفسه ويجمع جسده كأنه جنين ، يجهش البكاء ... خانته الذاكرة هذه المرة أيضا

كلما حاول الهرب منها والانشغال عنها . تعود إليه في لحظة غربة وضعف

5

في صمت الليل ورائحة المطر على الأرض ، بعد انتظار .. هناك ابتسامات عابرة مع عيون ناظرة

وشوشات العاشقين والمارين على الرصيف المبتل وذكريات العابرين

فيهم قلوب دافئة نابضة عشقا . وقلوب أذاها الفراق والبعد، ومنهم لا تعرف قلوبهم أيّا منهما

إنما تعيش فراغ . هكذا مجرد قلوب مارقة، في حياتنا الأخطاء كثيرة منها ما نندم عليه ،ومنها لا نبالي به أبدا

منها ما يُحرِقنا ومنها ما نُحرقُه، صور كثيرة وأحاديث، قصص وروايات عن مواقف حدثت رغما عنه ولكن ؟

نحن هنا اليوم ، لا شيء معنا سوى صور وغصّة وألم ، في مكان ما في الجسد وفي الذاكرة

وقف كميل بباب المقهى من جديد، كان المقهى الوحيد في الحي الذي يسكن فيه وعلى بعد شارعين من بيته

تأمّل المكان . هادئ لم يكن قد بدأ وقت الزحام _ تفضل أستاذ .. التفت كميل إلى مصدر الصوت،

_ عامل المقهى : وين بتحب تقعد أستاذ ؟

دون أي كلمة اتجه كميل إلى المقعد الذي جلس عليه أول مرة ، أشعل سيجارته وهو شارد. مفكرا بأمر

نظر بتردد باتجاه عامل المقهى _ قهوة إذا بتريد

جاءه الرد : تكرم أستاذ

لم يكن قد استقر ذهنه وهو يرتشف القهوة ويشعل السيكارة الثانية حتى دخل رواد المقهى واحد تلو الآخر

كان المقهى هادئ باستثناء حركة العامل فيه ووشوشات الجالسين

أخذ يردد في ذهنه وهو يتأمل فتاة تمسك بيد حبيبها ويبتسمان مع وشوشات جانبية

تابوت يبكيه حامله ، فيه عاشق والعشق قاتله ، مسار العشق أجهله، وهل للموتى عشاق !؟

قلبي آآه على قلبي ، قلبي تابوت . ويبكيه حامله

يصحو من ذاته ويرفع عينيه الغائبتين لتقع عليها بشعرها الغجري وضحكاتها المرسومة المجنونة

يتأملها .... يتأمل حركاتها الإستعراضية ... بمشيتها . بحركة عينيها، وجهها، حتى عندما تريد الضحك

تفتح فمها ضاحكة دون صوت مع حركة مائلة بحاجبيها تزيدها جمالا

تتمايل بجسدها، حركات غنج .. ابتسم مستنكرا تأمله لها ، استفاق بشهيق ملئ صدره ليبحث عن

سيكارته المنطفئة ، يهملها .. ليشعل غيرها منشغلا بالبحث عن ولاعته، كان قد وضعها على الطاولة

بالقرب من الباكيت، يبدو أنه في غفلة قد رماها أرضا ، التقطها عن الأرض . ولم يكن قد استوى جالسا

حتى علا صوت الموسيقى

صوت الكيتار بطريقة جنونية من خارج المقهى ، يرافق دخول ملاذ عازفا والتفت إليه الجميع

بتصفيق حار حتى هو نظر إلى مصدر الصوت ليدخل ملاذ مكملا عزفه ومسيره متجها نحو المكان المخصص

للمغني في زاوية المقهى الصغير

أمسك المايكرفون .. منشدا أغنيته بصوته وعزفه الجنوني يا مسافر وحدك

الأمر الذي جعل كميل يتأمل كلمات الأغنية باهتمام ، كان قد ابتلع ريقه وشدّ على أضراسه ليمنع انفعاله

وسافرت عيناه بعيدا إلى عالم آخر .... اغرورقت عيناه متمتما في قلبه يا مسافر وحدك

أما تلك الفوضوية كما يسمّيها سارعت إلى حركاتها وغنجّها وتمايلها على نغمات الأغنية

وأمام حركات أصابعها كأنها تحمل آلة موسيقية يبتسم الحضور ضاحكا وينسجم مشجعا مع تمثيلها

على نار الشوق أنا ح استنا يا مسافر وحدك وفايتني

6

من روائع الفيس برسلي موسيقاه الرائعة التي يحبها كميل الآن أو ابدا تعال ضمني إليك

كن لي هذه الليلة ... غدا سيكون متأخرا جدا

يتمتم كميل كلمات الأغنية باللغة العربية ليجهش بعدها بالبكاء

ماعمبقدر انساكي ... سامحيني أورنينا

أورنينا تلك الصبية الجميلة القوية صاحبة النظرة الثاقبة والذكية ذات الشعر الأسود القصير

الذي يخفي نصف وجهها الأيسر وتردّه بحركة من وجهها دون أن ترفع يدها

وتبقى على هذه الحالة حتى يأتي هو ليرفعه لها بإصبع واحد ليرسم حركة على وجهها ثم يدخل أصابعه

لتتغلغل أسفل الشعر من الخلف بخفة ويمسك الشعر كلّه بقبضته بحركة منه ليثبت لها وجهها دون حراك

مبتسمة تلك الابتسامة الراقية الواثقة، تتأمّله بهدوء بعينين تشبه كل شيء يحبه

يسمع صوت محاولة فتح الباب ، يلتفت يسارع الى إطفاء سيجارته ويمسح وجهه باستمرار في محاولة

الانتعاش يعتدل في جلسته ويسارع إلى فتح الباب أمام النقر المتكرر عليه

جلال يدخل معترضا : ولووو يازلمي , شو هالنكد بتسمح توطي الصوت شوي عنجد لأن الوضع ما بقا يتحمل

يبتسم كميل : شو صاير معك . أكيد متخانق أنت وهبة

يسارع إلى قفل المسجل ليعمّ الهدوء، يجلس جلال مهموما يائسا : يا زلمي والله رح تجننين صرلنا خاطبين سنة

ولهلئ ما عمتظبط معنا ، لسا عأختي عملت ورفيقتي جابت ومن هالحكي ، شو بعمل أنا !!

ينظر في عيني كميل : شو بعمل ؟؟

يتأمله كميل بابتسامة باردة فيها حزم : خود مفتاح البيت منها ولا تتردد .

يتأمله جلال غير مصدق فيهز رأسه كميل مؤكدا بثقة .

طبعا الصمت الداخلي في أعماق كميل حقيقة لم يكن لأحد أن يشعر به ازدواجية المشاعر هو أمر غير اعتيادي،

بل هناك من يصنّفه أنه أمر مرضي ، حالة مرضية أن تكون لا تعرف ماذا تشعر، حب ، كره ، شوق ،حنين ، رغبة بالمواجهة،

لا شيء مجرد فراغ ، صمت ، حاجة إلى الضجيج أحيانا دون ردة فعل

كأن تكون نقطة ساكنة وسط عالم من الأشياء المتحركة، وبالرغم من كل عصفها وجنونها يحكم السكون تلك النقطة

إنه كميل وحالته التي يعاني منها، يعاني من الحياة نفسها هو فيها دون تغيير، بالرغم من كل التغييرات فيها

المطر، والنسمات الباردة التي تلفح وجهه وهو يمشي هرولة ،

كانت الغيوم وكأنها تنتظر رفيقاتها لتمضي معا، الأوراق المتناثرة على الطرقات والأشجار

التي بدأت تبدو عارية تماما، أدخلت في نفسه بعضا من حنين إلى منزل والديه

ذكرى والده الجالس على الكرسي وفي يده كتاب تحت شجرة الجوز التي تغطي الدار مع أشجار أخرى

كانت تقفز بين الحين والآخر، إنه الحنين

الحنين الذي يسترجع فصول من حكاية قد مرّ بها وتركت في نفسه شيء من شعور

شعور لا يمكن ترجمته كتابة، إنه إحساس فائض عن كل ما يمكن أن يكون

تسارع نبض قلبه ... وهاجت مشاعره مع ازدياد الشوق إلى أن يكون هناك في ذلك المكان

وهو طفل .. وهو يافع ، ليرى والده وهو يغسل الصحون ، يغسل جواربه، يعمل على تنظيف المنزل

بيديه المرهقتين اللتين تحملان تعب السنين .

لم تفارقاه أبدا في ذكرياته وأحلامه. ذلك الرجل البسيط النحيل المثقف الذي يقف و يكوي قميصه باهتمام

وضحكاته التي تملأ البيت عندما يحاول السخرية من أم كميل عامدا إغاظتها بأناقته واهتمامه بهندامه

وهي جالسة والشك يساورها ، لمن هذا الجهل والتأنق، أكيد لشهلة أخت عباس، فهو صديقه

وأخته شهلة عازبة لم تتجوز بعد ، متناسية أنهم كلهم شارفوا على الستين من العمر إلا أنّ النساء وعقولهن

كان والد كميل سعيدا بالحالة التي تشعر بها أم كميل . حالة الغيرة رغم قلّة العقل ..

لينتهي الأمر بعد حلقة الإغاظة والتلاسن بالكلام إلى بعض المسبّات العفوية التي اعتادوا عليها بين بعضهما

في مراحل العمر معا ومن ثم التراشق بالماء وبعدها إغلاق باب الغرفة عليهما لينتهي ذلك المسلسل بحلقاته .

يتوقف كميل عن الهرولة بعد أن أرهقته الذكرى والحنين إلى ذلك الفصل من العمر متعبا،

يقف ليلتفت حوله مستكشفا تائها في نفسه يبحث عن العودة،

العودة إلى الشعور، إلى التواجد هناك في ذلك المكان واستغلال كل لحظة فيه ليصل إلى حد الإشباع

كي لا يبقى في نفسه أي اشتياق أو لحظة ندم .

لحظة الابتعاد وعدم المبالاة التي كان دائما يعيشها في غرفته، مراقبا بصمت وسخرية بقرارة نفسه

أيام تمضي وهو جالس على بعد غرفة وصالون من غرفة والديه دون أن يراهما أو يشاركهما

السهرة أو حتى تناول الطعام رغم دعوة والده له ورغبته في أن يكونا معا على نفس الطبق

يأخذ نفسا ... ليتدارك الألم والندم وينظر حوله مرات . يترقب خطوات المارة فمنهم من يلتفت إليه

ومنهم لا يبالي بحاله منصرف إلى همومه ، يتابع المسير وفي داخله غصّة وحزن كلما بادر إلى البكاء يتماسك

المطر ورذاذه على وجهه يمنع عينيه من النظر بوضوح . يمسح بشفتيه بعضا منه

كان قد لامسهما بعفوية ويبتلعه ثم يبادر إلى وضع قبعة السترة على رأسه ويمشي بخطا متسارعة .

7

أين أجد لي بائعا للمواعيد كي أشتري لي طاولة لقاء ؟!

قرأت عينيها تلك الكلمات وابتسمت وأخذت تتأمل المكان

كل شيء مرتب نظيف، أوراق، كلمات متناثرة عليها وكأنها مشاعر مبعثرة، فتحت كتاب

وجدت فيه وردة كان لها زمن، حمراء مخملية نال الجفاف من رونقها تأملتها بلطف ثم تجولت

بعينيها لتهزأ من الروتين بابتسامة عفوية تبادر لتجربة مضخم الصوت أغنية lionel Richie

بحركة من شفتيها تبدي استيائها لم يعجبها ما سمعت، تلمح صورة كانت موضوعة في إطار

بين صف الكتب وكأنها كتاب تسحبها، صورة ممزقة تتأملها، والد كميل والنصف الآخر غير موجود

صوت الباب، يدخل كميل ينزع سترته المبللة تلتفت يتأملها مصدوما،

انت شو عمتعملي هون : يتمتم كأنه يحدث نفسه، تتجول عينيه متسارعة في البيت

أنت شو جابك لهون ، كيف وصلتي لهون، يقترب منها ليمسكها من يدها بعنف وكره،

وهي واقفة تتأمله بهدوء وبراءة ، منين جبتي المفتاح . يصرخ بوجهها بعنف، ولك شو جابك ع بيتي يا حرامية

جاوبيني . وهي بين يديه و أمام عينيه تائهة ، صوت هبة بحزم : كميل ، روان خرسا ما بتحكي

يبتلع ريقه ويتحول الغضب إلى صدمة وهو ينظر في وجه روان يتحول الكره الشديد إلى صدمة مؤلمة

يتراجع ببطء وهو في حالة ذهول وكأنه فاقد التوازن يتركها بتتابع ، تدخل هبة القادمة من الخارج لتقف أمامه

ودون أن ينظر إليها ، روان معي أنا

وكأنّ عليه أن يعيش سلسلة من حلقات الندم الذي يولد الضعف . الذي يحرق الجسد وقد يصل به الأمر إلى إحراق الروح

وقتلها، لما كل هذا الخوف الذي يخترقه ؟!

هل حقا هو الخوف الذي يدفعه إلى القيام بأمور يندم عليها لاحقا . تختلف المواقف بحسب الظروف

سابقا كانت اللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء للعائلة، هو من يجعله يتصرف وكأنه غير موجود

اليوم . الشعور بالضياع وأنه غارق في المجهول يخلق لديه حالة من الشك والريبة، وهي من يدفعه إلى التسرع

والخطأ في كل فعل يندم عليه، امرأة جميلة مفعمة بالنشاط والسعادة أيضا فهو لم يصادفها مرة إلا وكانت مبتسمة ضاحكة

هي كل شيء جميل ، مشرق كالربيع مليء بالزهر والندى ولكن لا صوت ولا كلمة ،لا تستطيع الكلام .

لم يكن بمقدورها الدفاع عن نفسها. لم يكن ذنبها أنها في ذلك المكان

إنها فقط تنفذ ما طلبته منها هبة، انتظري هنا سأعود بعد قليل، لو لم تتواجد هبة وتعود إليها

في الوقت المناسب، ترى ماذا كان فعل بها ؟؟

وقف بباب المقهى ، ملاذ يغني ، الدخان المتصاعد يملئ المكان ...

كل شيء كان عاجز عن اختراقه إلاّ هي ، لم يكن بمقدوره إلاّ أنّ يراها واقفة هناك بشعرها الغجري

وحركاتها العفوية . لم يكن يسمع إلا ما يريد سماعه ، اخترقته رغبة قاتلة جامحة لسماع صوتها

وهي ترسم بشفتيها كلمات الأغنية . أنا بعشقك أنا ... أنا كلّي لك أنا

أنا آسف : قال لها عندما وقف بمحاذاتها ناظرا إليها وفيه رغبة جامحة لاحتوائها

والاعتذار منها بكل أمر يمكن أن يشفع له عندها، ويمسح شعوره الذي يكاد أن يقتله

بعينيه المرهقتين وصوته المختنق تأملته بوجهها البريء، ابتسمت بعفوية ولطف وهزت كتفيها

بما معناه ليس بالأمر المهم ، تأمّلا بعض للحظة وابتسم ممتنا بحزن قائلا ... روان أنا كميل

فبادرت إلى الضحك بعفوية وأشارت له برأسها مرحبّة به وتابعت تمايلها وهي واقفة محركة ذراعيها

لم تكن قد فقدت القدرة على السمع . المشكلة كانت فقط في قدرتها على النطق ، لم يكن لأحد معرفة السبب

الذي جعلها تفقد القدرة على الكلام . ولم يكن ذلك يسبب لها أي احراج أو شعور بالحزن أو العجز

8

بعد شهر ..... كان كل شيء قد تغير

فتح عينيه وأخذ نفسا عميقا لينهض متثاقلا ، يفتح النافذة ، يتأمل السماء . نسمات باردة

ينظر إلى البعيد البعيد ،غروب الشمس ، هل حقا بقي نائم حتى هذه الساعة، يتمطى ويحاول

أن يأخذ أكبر قدر ممكن من الهواء مع شعور بالراحة والاستقرار وهو ينظر حوله متمتما

أحسن شي ارتحت من جلال

حاول القراءة ليمضي الوقت، لم يكن لديه القدرة . فراغ فكري ، انعدام القدرة على التركيز

رسالة . ابتسم بعمق بعد قراءتها بادر الى الاتصال ولكن صوت جرس الباب كان أسرع

تأمل الموقف للحظة متفائلا : هي

توجه مسرعا الى الباب ، هي بتعابير وجهها البريئة المشاكسة كطفلة ، تأملها متمالكا نفسه

ابتسم بجدية : أهلين روان أشارت له بقطعتين من الشوكولا للترغيب

كان بينهما مسافات من الحرية والقدرة التعبير، هي بعفويتها ، هو ودراسة كل تصرف وردّة فعل .

وابتسامة ونظرة، مرت بخاطره واقفة تتمايل على أغنية في التلفاز وهي تلحس رؤوس أصابعها من بقايا الشكولاتة

ابتسم وهو مغمض العينين ، ثم أخذ يضحك بعمق وراح يردد و كأنه يغازلها

تتغزل بك القصائد كلها أيا ليت روحك تدري وتعلم كم روحي بشوق تناجيك

أخذ نفسا عميقا بشوق لها وابتسم لذكراها التي تمنحه السعادة

متمتما : أعتقد أني بدأت أهواك

وقف بباب المقهى وعيناه تبحثان عنها في زحمة الموسيقا والدخان، والعاشقين والسهارى

وقف هناك وعيناه ترحلان في كل زاوية تتأمل أن تلمح جنونها الصامت . خاب رجاءه لم يجدها في أي لحن

تراجع لينسحب . ملاذ يقف أمامه مبتسم : تفضل

هز رأسه بعفوية مبررا : لاا كنت مارق من هون فكرت اااااا

يتأمل ملاذ ملامحه وتستقر عيناه على شفتيه المتلعثمتين بكذبة لم تكتمل معه

تأمله كميل لحظة مستدركا الموقف وبثبات : روان

ليقاطعه ملاذ بحزم: راحت

يتأمله كميل ويشعر أنه غير مرحب به عند ملاذ فيبتسم مرغما لينسحب دون كلمة،

وسط شعوره بالهزيمة أمام عينيه الخضراوين ووسامته ، يهرب مسرعا بخطا متلاحقة، ازداد شعوره

بالبرد، حاول تدفئة يديه ببخار فمه أمام انكساره والحنين أخذ يرتجف للحظة فقد القدرة على احتمال جسده

فوقف ليشعر أن كل ما حوله يدور ثم يختفي أمام عينيه.

فتح عينيه. كل ما كان قبل إغلاقهما اختفى، يشعر بالدفء

هي: وجهها المبتسم وشعرها القصير الغجري المرفوع بعشوائية لينسدل خصلات ملتفة منه على وجهها

تعطيه كوب من البابونج الساخن مشيرة له أن يشرب. يتناوله من يدها، لم يكن ليسأل ما حدث بعد أن رأى

عيناها وابتسامتها، أخذ يتأملها وهي في البيت تتحرك منشغلة

صوت الكيتار، لم يكن قد لاحظ وجود ملاذ الذي يجلس على الأرض في الجانب الآخر بالقرب من الباب الزجاجي

لشرفة البيت، يتمرن على عزف مقطوعة جديدة، كميل بعد شعوره بوجود ملاذ حاول النهوض ، التفتت إليه

وأشارت له باهتمام محاولة إقناعه عدم الحراك، وضعت يدها على جبينه مشيرة له بأن حرارته مرتفعة

وهو يتأملها بشغف ، أخذت تشير له بوجهها البريء أن عليه الاستقرار لأن الطبيب أخبرهم أنّه عليه

بالراحة والدفء وإلا فهو بحاجة لمشفى ، تأملها بحب ولطف : بس أنا لازم روح عالبيت

لكنها أشارت له أن عليه البقاء من أجل صحته، ملاذ دون أن يلتفت : اعمل متل ماعمتقلك

لأن الدكتور أكد على عدم الحركة بهالفترة . والتفت إليه مؤكدا

أنت بحاجة راحة ودفا. مؤكدا له بإشارة من عينيه ورأسه. وفي مين يهتم أخذ يدندن مغنيا .

شوف حالك عليّ تكبّر لتشّبع . واعتدل في جلسته وبادر للعزف قول عنّي أنانية، قول مش رومانسية

تأملّه كميل ثم التفت الى روان التي تعمل على تحسين مكان نومه لتلتفت إليه مبتسمة مشيرة إلى ملاذ أنها أغنيته المفضلة.

كانت ليلة غريبة. لم يخطط للأمر. كان يريد أن يرى ابتسامتها ليعود الدفء إلى قلبه فجاء البرد في مفاصله ليجعله في رعايتها،

يومان وهو لا يشعر بما حوله من الحرارة التي تلتهم جسده، وعندما يصحو لدقائق، يرى ابتسامتها فيظن أنه في حلم

وسط مرضه الشديد وهذيانه يمدّ يده متمتما أورنينا سامحيني . سامحيني ، تمسك له يده بحزن وتتأمله بعطف

يستمر بالهذيان . لا تتركيني أورنينا أنا عمتعذب، حاج تعذبيني

يسحب يده ليحاول البحث عنها فتتأمله بحزن وتبادر لتستلقي إلى جانبه فيضمها بعمق

كطفل تائه وجد أمّه أخيرا يضع رأسه على كتفها ويغفو متمتما ارجعيلي مارح اتخلا عنك وعد

تضع يدها على رأسه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

9

امرأة برائحة المطر. حضورها ياسمين أنيق، هادئ ك غيم أبيض : روان

كانت تتأمل هبة وهي تتحدث عن عطلتها مع جلال بعد حفل الزفاف

كان يتأمل عفويتها التي تثير الشهقة في القلب والشغف في روحه، كانت عيناها تنتقل بين هبة

ويديها اللتان تتحركا بإشارات للشرح والأشياء التي أحضرتها، تتأمل المشهد ببراءة الأطفال

ولكن دون مشاركة بأي كلمة أو رد فعل، جلال يقترب من كميل ليشير له بيده وهو يجلس

إي وبعدين ؟ يتأمله كميل باستفسار، فيشير له جلال بيديه بإيحاء بما معناه عن كل شيء على العموم

كميل بإشارة من شفتيه أنه لا يعرف، يحدقان بعيني بعض للحظة فيبتسم جلال بمكر ويرفع حاجبيه ليهز رأسه

كميل مستفسرا،

جلال : هي النظرة جديدة

كميل : المعنى

يضحك جلال بصوت عال لتلتفت هبة : ضحكونا معكن

يلتفت كميل إلى روان التي تتأملهما بعفوية، يتأملان بعضهما للحظة، أمام مراقبة من جلال وهبة للموقف .

* تتجول في ذاكرته حافية ... على ورق الشجر اليابس بأقدام مدماة، والبرد يأكل من جسدها ومن تلك الشفاه الجافة،

يتقلب في سريره، يشعر بالضيق وعدم القدرة على التنفس وسط عرق بارد، يعمد إلى مسح جبينه

ينهض محاولا التنفس ليستدرك روحه قبل أن تنقصها الحياة. يستلقي من جديد منهكا.

لا يطيق جسده. حاول التفكير بأمر ما. لا شيء حاول أن يغفو من جديد، أغمض عينيه ، لحظات، فتحهما من جديد،

صوت العصافير يؤذن ببزوغ الفجر، أخذ شهيقا واستنهض روحه وجسده. لا فائدة من المحاولة، فقرر أن ينهض،

للمرة الأولى منذ عشر سنوات، قرر أن يستمع للقرآن الكريم، سرى في جسده شعور غريب عند سماعه

مع إعلان الساعة السادسة صباحا خرج من المنزل، كان الشارع قد خلا إلا من بعض القطط متوزعة على الأرصفة

بالقرب من حاويات القمامة، وبعض المارة الذين يخرجون صباحا من منازلهم لإحضار الخبز من الفرن

كانت رائحة الخبز رائعة، بثت في نفسه بعض من حنين وذكرى .. حيث كانت والدته تستيقظ صباحا

في الساعة الخامسة على صوت زمور سيارة بائع الخبز، الذي يحضر صباحا إلى القرية من القرية المجاورة

مازال صوتها يحبو في جدران ذاكرته هي وأبو إبراهيم جارهم حيث كانا يتشاركان الركض للحاق بسيارة الخبز

امرأة تمر من جانبه وهي تحدث نفسها، كأنها تعاتب أحدهم . تأملّها بأسف . صوت والدته من الماضي بلهجتها القروية

أنا شو ما أعمول لحتا تعاملوني هيك .. ابتسم بسخرية

وقف في الطريق ليشتري علبة سجائر، كان قد وعد نفسه أنه لن يعود إلى التدخين ولكنها المنفذ الوحيد

للصراخ والتنفيس عن غضبه، أشعل سيجارة و أخذ يسحب مرات متتالية وكأنها الترياق الذي سينقذه من الموت

صاحبها موجة سعال، موجة حادة لم يستطع التخلص منها حتى رأى أمامه قنينة ماء مدتها له يد ..

التفت إلى صاحب اليد قبل أن يتناولها، ملاذ : اشرب

عيناه الخضراوين كانتا تثيران في نفس كميل الغيرة وشيء من الكره نحوه

أخذ نفسا عميقا يبدي شعورا بالراحة، ثم التفت إلى ملاذ محاولا أن يبدي له امتنانه، فابتسم ملاذ

وبحركة من شفتيه مشيرا إلى أنه أمر بسيط وعادي ، أكملا طريقهما معا بصمت وكميل يرميه ببعض الالتفاتات

محاولا السؤال بتردد : أنت ؟؟ وقف ملاذ بانتظار يتأمله وهو محتار بسؤاله ليكمل : أنت ما بدخن

ابتسم ملاذ بعد تأمّله ماقال ثم ضحك وهزّ برأسه مؤكدا : إي أنا وروان أصدقاء

تفاجأ كميل بجوابه هل هو مكشوف وواضح لهذه الدرجة !! ؟ ينظر ملاذ إلى البعيد بعينيه الخضراوين متابعا حديثه بتأمل

روان حدا لطيف وبريء، تلقائية، ثم يلتفت إلى كميل متابعا : أنا ما بدخن مشان صوتي .. يتأملا عيني بعض للحظة دون

أي شعور تجاه بعضهما، هو الحب ... كانا وجهان لحب واحد

10

خطا متسارعة، نوافذ، أرصفة، وباقات من الانتظار والوحدة، كان شارد الذهن حين لمحتها عيناه

واقفة على عتبة بابه، يتباطء قليلا وهو يمعن النظر بها، تتأمله بإنتظار، جورجين

جورجين الشقراء الفاتنة صاحبة الشعر القصير والعينان اللامعتان تحت النظارات الطبية

كانت قصيرة القامة ممتلئة. جميلة، جريئة

خرجت من الحمام، تجولت عيناها بحثا عنه ، تأملّته وهو جالس على الصوفا، اقتربت منه لتمر

بشفتيها بشغف ونهم على وجهه طابعة عدّة قبلات حتى تصل إلى شفتيه لتلتهمهما برغبة واشتياق .

يحاول بلطف التخفيف من انفعالها واندفاعها نحوه، يبتلع ريقه ويأخذ نفسا عميقا

تتأملّه ... امممممم شو اشتقت لا هالطعمة. كانت شبقة، تحب المتعة ولا تخجل من طلبها

أو المبادرة للحصول عليها، سارعت للحاق به إلى غرفته وهي تنزع عنها كل ما ترتديه

ليلتفت ويراها عارية، وقبل أن تقول أي كلمة ألقت بنفسها فوقه ليستسلم لها تماما ويخوضا

على السرير جولة من جولاتهما المعتادة، رن صوت المنبه الساعة الرابعة مساء، مازال غارقا في نومه،

سارعت جورجين إلى إيقافه، نظرت إلى كميل ثم انسحبت بهدوء لتدخل الحمام، وبعد خروجها أخذت المنشفة عن الأرض

بعد أن كانت قد ألقت بها سابقا ومسحت بها شعرها ورقبتها وهي تتأمل نفسها بالمرايا وتلقي نظرة على كميل

الذي فتح عينيه ليغمضهما من جديد، استلقت إلى جانبه وأخذت تداعب وجهه بشفتيها، فتح عينيه متثاقلا

ليتأمل شعرها المبلل وجسدها العاري، استلقى على ظهره جيدا ليأخذ نفسا عميقا، ويمسح وجهه كأنه يعطي نفسه فرصة

ليعيد ترتيب ما حدث ، وما سيحدث لكنّها لم تمهله سارعت إلى الجلوس عليه لتلّف ذراعيها حوله بشغف ورغبة

لتتسلل بكل جسدها للاستلقاء فوقه، اليوم أنت ملكي تهمس له بأذنه، فتح عينيه ، نهديها عنقها وهمس صوتها الشبق

وجسدها العاري الذي يتحرك فوق جسده، حرارة رغبتها جعلته ساكنا دون مقاومة، بل أشعلته رغبة من جديد

لتخوض عنه جولة وهو غارق بكل ما فيها

بالأمس كان يخوض صراعا بينه وبين جسده الراغب في الجنس، ولكن الآن جسده يخوض الصراع مع جسدها

هي لن تكتفي، كانت حرارة جسدها فوقه ومحاولة احتواء جسده مهمة تبذل من أجلها كل ما تستطيع ،

كانت تبحث عن إرضاء شهوتها ورغبتها به، جولتان في يوم واحد، كان بالنسبة لها أمر جيد، ولكن

هي تطمح إلى الكثير دون أن تعمد إلى إنهاك قواه، فمازال لديهما وقت وعليه أن يكون قويا بما فيه الكفاية

ليلّبي دعوتها إلى ارضاءها في الجولة المقبلة.

11

خرج من الحمام متجها إلى المطبخ ، وضع المنشفة على كتفيه مسارعا إلى وضع القهوة على الغاز ليخرج

من أجل ارتداء ملابسه بعد شعوره بالبرد، كانت على السرير غارقة في النوم

بحث عن ملابسه وسط فوضى ملابسها، ارتدى ملابسه على عجل وسارع ليطفئ الغاز واتجه ليفتح الباب

أمام رنين الجرس المتواصل .... هي بابتسامتها البريئة وتفاؤلها المحيّر، تأملها وبتردد رّحّب بها

فسارعت للدخول إلى المنزل دون أن يدعوها، فقد أحضرت معها معجنات للفطور ليتناولاه معا

وضعته على الطاولة وهو يراقبها بانتظار وحيرة، فأشارت له أن عليه أن يسرع بتحضير الشاي

وقف مقابلا لها محاولا الحديث إلا أن عيناها اتجهتا إلى مكان أبعد من مكانه، خلفه كانت تقف جورجين

بالثياب الداخلية، السوتيان والكلسون فقط دون خجل، التفت إلى مكان نظرها لتبادره جورجين

بعناق حميم وشغفها المعتاد، ومازالت روان واقفة تتأملها وهي عارية، التفتت جورجين إليها

محدثة كميل : هي الخرسا تبع الدلفري ؟؟؟ كان كلامها صدمة لكميل قبل أن يكون صدمة لروان التي حاولت الابتسامة،

سارع كميل إليها ليشرح الوضع وهو تائها : لا هي روان صديقتي، لم تهتم جورجين أبدا بما قاله بل سارعت إلى رؤية

ما أحضرته وهي تقول لها : يا صديقتو بتعرفي تعملي شاي مشان الفطور، إلا أن عيني روان كانتا معلقتين على صدرها الكبير

كان صراعا مابين الحب والرغبة، حبه لروان وضعفه أمام جسد جورجين وقدرتها على تلبية رغباته

في طريقها إلى المنزل كانت تتأمل صدرها ثم تنظر إلى النساء من حولها مفكرة جديّا بالأمر، حتى أنها حين وصلت إلى البيت

وقفت بالباب تتأمل صدرها بالانعكاس المرتد عنه، فتح ملاذ الباب ليجدها أمامه، تأملها لم تكن على عادتها،

منشغلة الفكر عيناها فيها حيرة، كانت جائعة تأكل وهي منشغلة التفكير، أخذت تمعن النظر في الإبريق الذي يعكس صورتها،

أخذ يهتم أكثر بتصرفاتها محاولا استكشاف الأمر فبادرها بالسؤال مؤكدا: جوعانة ؟! نظرت إليه محاولة الابتسام

و أشارت له برأسها مؤكدة له أنّها لم تأكل لأن كميل عنده ضيوف، استوقفته كلمة ضيوف مع تعبيرها بعدم الرضا عند ذكرهم

اهتم أكثر فحاول معرفة التفاصيل وخاصة أنّ فيها شيء قد تغير، فقال بدهاء وتصنع اللامبالاة

هبة وجلال ؟؟ سارعت للنفي بإشارة منها ثم أخبرته عن جورجين وماذا كانت ترتدي ، أخبرته كل التفاصيل

ببراءة وحيرة وأنّ لها نهدين طويلين كبيرين وهو محمر ضاحك بصمت مكبوت، فأيقن سبب تغيرها وسبب اهتمامها

برؤية نفسها وانشغالها كل الوقت بصدرها، هي مقارنة بينهما إذا

متمتما بلذة ضاحكا وكأنّه اكتشاف: نسونجي الأخ

نظرت في عينيه الخضراوين وهو مفكرا بمكر ووجهه مليء بضحكة مكبوتة . وكأنه يتخيل ماحصل بين كميل وجورجين

في قرارة نفسه كان الأمر يعنيه جدا، فخرج باحثا عنها، كلّ الطريق يفكر كيف سيبرر الأمر .. كيف له أن يعتذر منها

على كلمة خرساء أو عن لامبالاة جورجين بها، الموقف كلّه من الألف إلى الياء كان محرجا، كانت عارية في منزله

بل لم تكتفي ألقت نفسها بين ذراعيه بإيحاء جنسي وهذا ما يقلقه، تابع السير وبعد أن تعب من صراعه الفكري توقف محتارا

عليه أن يعود أدراجه حتى تنسى الموقف، ولكن ربما ظنّت أنّه لا يكترث بها، تابع المسير .... أنا رح اعمل اللي عليّ

توقف .. بس كل شي واضح . أنا وجورجين . هي طلعت من غرفتي .. تنهد بنفاذ صبر .. جلس على حافة الطريق

كان الرصيف بارد جدا، تسلل من تحت ثيابه الصقيع ، قرر العودة فلا فائدة من الذهاب ، ذاهب ليبرر جريمة ارتكبها فعلا

بل كان في موقع الجريمة والشاهد نفسه هو القاضي و الحكم ؟؟! شعر أن عليه الإسراع بالعودة فهناك جسد على السرير

بانتظار أن يخرجه من حالة الفوضى التي يشعر بها، فوضى الحواس التي دفعته إلى الشعور بالرغبة والغرق في حضن

جورجين ويدفن رأسه بين نهديها الكبيرين.

ملاذ يغني بصوته الجميل ولكن هذه المرة أغنية فيها شجن تناسب السهرة ووحدة العاشقين

يا حبيبي روح شو بدك فيني اتركني بحالي ، أنا كنت نسيتك شو اللي جابك عبالي ، يا حبيب روح بيكفي جروح

حتى لمحتها عيناه، وهي قادمة أثارت انتباهه، فحاول التركيز ليمعن النظر فيها شيء تغير، نعم صدرها

كان مختلفا هذه المرة بدااا له أكبر ورغم حزن الأغنية غلبه الضحك

أضحكته الفكرة رغم حزن الأغنية، لقد تغيرت عما كان هو يعرفها، إنّه الحب الذي يجعلنا نغير اهتماماتنا

أو نهتم بأمور لم نكن ننتبه لها من قبل، هي اليوم في الثلاثين من العمر ... بعد هذا العمر لاحظت أن صدرها لم يكن

كغيرها من الإناث، اليوم اكتشفت أنه عليها أن ترتدي ملابس خاصة بالأنثى سوتيان، ولكن لم تكن السوتيان لحمل نهديها

بل لصنع نهدين لها، حاول تشتيت نظره عنها وعن صدرها عبثا ... حاول أن لا يضحك جاهدا . . كانت الفكرة بحد ذاتها

تشعره بالدغدغة، لم يتمكن من الاستمرار بالغناء .

أمّا كميل كان غارقا في السرير مع جورجين ، كان يسيطر على الوضع وهي غارقة، يتأمل تفاصيل وجهها وذراعيها

أما نهديها الكبيرين بتفاصيلهما كانا واضحين تماما يرقصان على وقع انسجام موسيقا جسديهما معا

كان جسده بحاجة جسدها، هي وكل ما فيها يثيره ويحفزه على الجنس معها مرات وليس مرة واحدة، ولكن الخرساء

ماذا كانت تعني له ؟! ارتمى بجسده على جورجين بعد أن امتزج جسديهما وحصلا على ما يريدان

بقي فوقها ساكنا، يفكر حقا تلك المرأة بتفاصيلها التي لا تشبه التفاصيل التي هو بحاجة إليها لممارسة الجنس

تلك الخرساء ؟؟ لماذا تتجول في ذاكرته .

ويسألوني عن حبك أقول لهم ،هو فيض من شعوري بالحزن ، حين لا أشعر به .. أتلمس أشياءك فيسري الحنين

بداخلي ، يخترقني ، يؤلمني ، هنيئا لمن داواه دمعه ، الدمع يغسل مرارة الوقت والانتظار

رحيلك رصاصة لم تقتلني ولكنها تركتني أتألم و أنا أنزف ببطء شديد وهذا أقسى ، فأنا ألهث وراء موتي

أتعثر بطيفك كل يوم ، في وحدتي تجرحني الذكرى ، أعيد صياغة كل حرف كتبته لك يوما كلّ كلمة قلتها،

هل كان عليّ أن أنتقي حروفي ، أن أرتب نبضي ؟! كان عليّ أن أرى الحقيقة ، وضعت القلم جانبا

وألقت برأسها على الكرسي بتعب ،عيناها الزرقاوين كقط برّي تحدقان في اللاشيء،

الطبيبة سراب في 39 من العمر على أبواب الطلاق، كان خلافها الأخير مع زوجها كالعرس، لم يبقى

أحد في الحي الذي يسكنانه ولم يسمع به ، لقد عمل زوجها على رمي كل ما يتعلق بها خارجا، هكذا

فقد السيطرة على نفسه ورمى بها وبأشياءها خارجا في منتصف الليل ، لم يكن سكرانا، ولم يكن مدمن

أبدا، هو رجل هادئ ،إلا أنّ أمر ما دفعه لفعل ذلك، لم يفصح عنه، حيث وقف الجميع بالخارج

يراقبون ما يفعل وهي لم تصدق حتى الآن ما فعل .

خرج من غرفة مكتبه في بيتهم وأمسك بيدها، وسحبها بثياب نومها وفتح الباب وقال اخرجي

وأغلق الباب وراءها هكذا دون مقدمات، ثم عاد ليفتحه من جديد ليرمي بأغراضها تباعا، في كل مرة يغلق

الباب ، يعود ليفتحه من جديد ليرمي لها بشيء تذكره أو صادفه في طريقه، دون كلمة منه ، فقط صوت الأشياء

التي إمّا أن تنكسر، أو تصدر أصواتا تحفز الجيران على الخروج والتأمل

وقف ملاذ أمامها : في شي ؟! متسائلا ، تأمّلته وبعد صمت : قررت ارجع للدخان

نظر إليها بإشارة خفيفة من رأسه مستنكرا ، كانت قراراتها دائما تتجه إلى السلبية

إنها شقيقة ملاذ الوحيدة، بعد زواج دام عشر سنوات خرجت بتلك الطريقة ، دون أن تعرف السبب حتى

هل كانت تستحق تلك الشهرة والعرض الذي خرجت بهما، سألت نفسها كثيرا، بحثت في تفاصيل حياتهما معا .

ودخلت صراع مع نفسها، لا شيء ، لم تخرج بأي فكرة عن السبب.

14

بيقولوا الحب بيقتل الوقت , وبيقولوا الوقت بيقتل الحب

كميل بطل روايتنا ...

من أين سيبدأ ؟ كيف ؟ إلى أين ، ولماذا ؟ كل سؤال وكل علامات الاستفهام والتعجب هي محور حياته

وليس لها أي أهمية في وقت ما، وكأنه مصاب بالشعور كلّه ومن ثم مصاب باللاشعور كلّه

بالمكان واللامكان ، بالحب وباللاحب ، بالرغبة وباللارغبة، بالانتماء وباللانتماء، هو نفسه لا يعلم من هو وما به

تجده مرة مثقف ومرة عاجز عن التفكير في أبسط الأمور، تجده قادر على الفهم ، ومرة لا يستطيع حتى أن يمرر عينيه

على أي أمر ليخترق عقله فيصل لمرحلة التفكير ومن ثم الفهم .

من هو ؟! لا يعرف ولكن هو ذلك الشخص الذي يفكر إلى الوراء في الماضي المعذّب

ذلك الطفل الذي تعرض للاضطهاد والتنمر في المدرسة وفي البيت، وكل مكان كان يذهب إليه

بالرغم من بساطته وعفويته يفاجأ أنه يقابل بالخيانة والتخلي والغدر أو الاستهزاء وعدم تقدير ذاته . مما كان يشعره

بالحسرة، التي ولّدت عنده نوع من الانهزامية والاستغناء في بعض المواقف عن أحلام كثيرة.

كانت تشكل بالنسبة له كل شيء هو يريده، ويسعى للوصول إليه، هو يملك كل الإمكانيات، لكن نقطة الإنطفاء التي في داخله

هي من كان السبب، ربما أخطأ بمفهومه لّلجوء مرّة فانعكس هذا على ذاته مرّات . كلّنا نبحث عن ذواتنا حين نشعر بالغربة

والفقدان الداخلي ، نعتقد أنها موجودة بتقمص الآخرين أو ببعض ما لديهم لكننا نكتشف أنها مجرد ظل يتلاشى بمجرد ارتفاع

الضوء ووصوله إلى نقطة في أعماقنا توضح لنا الفرق وتفصل بين ما هو نحن وما هو هُم ، وهنا الفرق لا أحد يشبه أحد

ولو بالتقمص ، كان كميل لسنوات عديدة يعيش طبقا لمعايير أخلاقية خاصة به ينفرد بها عن الجميع ويشعر بالانفصال التام عنهم

إلا أنّه رغم تمسكه بتلك المعايير وعدم قدرته على تبني غيرها مما هو سائد في وسطه، لم يمنعه من التجول وسط حطام نفسه

بطريقة فوضوية، مهشّم كليا من الداخل، وحيدا، لم يكن يشعر بالانتماء لهم بل لم يشعر يوما بالانتماء لأحد أبدا

وهذا ما يؤلمه، لا شبيه له في العالم الذي هو فيه،

عندما تصغر دائرتي تتضح رؤيتي ، فالقوة في الولاء وليس في كثرة الأعداد والأسماء، قرأ تلك الجملة بعينيه وهو جالس على

السرير ، رفع نظره للأمام مفكرا باللاشيء ، استلقى متثاقلا بكلّيته محاولا النوم ، تقلّب في سريره ، الذكريات، الماضي ،

المرارة التي تلاحقه في كل ذلّة ذكرى ، هل هناك من لا يتمنى فقدان الذاكرة حينا من عمره كي لا يعود لزمن مضى

لو أنّ القلم يخط حجم الألّم الذي تركناه وراءنا ، لكانت فاضت الروح مع ما خطّه، يقولون أن لا شيء يشبه بعضه أبدا،

حتى المشاعر فمن الصعب جدا أن تشعر بنفس الألم مرتين لنفس الصدمة أو جرح على أبسط مثال، ولكن الذي يختلف الذاكرة

التي تحملها ، عندما نحب أول مرة نكون كالورقة البيضاء التي يكتب عليها لأول مرة فتكون الكلمة واضحة جدا،

ومن ثم تتوالى الكلمات فيضيع جمالها ووضوحها ونعتقد أن الكلمة الأولى التي تمثل الحب الأول في القلب هو الأجمل .

النوم . لم يبدأ بالتسلل إليه حتى هزمته ذكرى، استحضرها صوت الرعد والمطر المتزايد خارجا، فالذكرى هذه المرة

كانت عن الساقية الباردة القادمة من أعالي التل والتي تمر من جانب بيت أهله في القرية، بصوتها، وجمالها،

فماء المطر يجتمع في أعالي الجبل ليشكل مجرى ماء يشّقّ طريقه إلى الأسفل، كانت تلك الساقية طبيبه الليليّ

الذي كان يلجأ إليه عندما يعاني من الحكّة التي تزور قدميه وتستوطنهما شهريّ كانون الأول والثاني ،وعندما تشّتد

وتعمد إلى إزعاجه لدرجة لا يحتملها، خاصة مع شعور قدميه بدفء بعد صقيع، كانت الساقية الباردة هي رفيق ليله

والمهدئ السحري الذي لا بديل عنه ، فكان يقضي ساعات وهو يمشي في الساقية حافيا حتى تهدأ تلك المستوطنة اللئيمة

التي لا ترحم بغض النظر عن النتائج , تنهد وسارع إلى إشعال سيكارة، ابتلع ريقه بصعوبة، وكأنه يبتلع ما هو عالق في حلقه

أخذ يراقب احتراق السيكارة التي في يده، ثم سحب منها بشكل متسارع ومتتالي وكأنها تمدّه بالعمر الذي يشعر به يمرّ بطيئا

للاشيء . وسريعا نحو اللاشيء .

15

الشمس . بالرغم من إغلاقه لكل منفذ ، يرى ضوءها في أعماقه الحزينة وفي كريات دمه المتمردة

حين وقف ليغسل وجهه نظر في المرآة فأثاره منظر شعره ، دقق النظر أكثر وأخذ يفركه بأصابعه محاولا ترتيبه

بطريقة ما ، تأمّل نفسه، عينيه، حاجبيه، شفتيه ، ثم حدق بعينيه في المرآة وابتسم لذكرى ابن أخته

الذي كان يقف على المرآة لفترة طويلة، كان وقته كلّه مركّز على شعره وطريقة وضعه للجلّ .

الجلّ مادة للشعر اعتاد ابن أخته تثبيت شعره به فهي الموضا عنده حاليا، طبعا ليس وضع الجلّ هي المشكلة

وإنما وجهة الشعر بعد تمديد الجلّ، إلى فوق، يمين، يسار، حسب اتجاه نظرته ورؤياه الثاقبة التي توافق الموضا

حسب تردد الضيعة أو المكان القادم منه، فهو لا يقيم في منزل جده، والد كميل ، هم في الصيف وأمّه

أخت كميل الكبرى، أتت به هو وأختيه للإقامة في منزل جدهم : ليصيّفّوا،على حد تعبيرها

لكن كميل كان له رأي آخر وهو أن سبب احضارهم التخلص من الانتظار الذي يفرضه على كل من ينتظر

دوره على المغسلة، التي يقف عليها ذلك المراهق ليصفف شعره أمام المرآة

وعند استحضار الذكرى بكلّيتها لن ينسى أم أحمد، جارتهم وصوتها صباحا كالمنبه، صوتها الذي يسبقها في الدخول

إلى منزلهم : شو متشتغلوا ... ؟! فدوامها الصباحي لأم أحمد إمّا أن يبدأ بزيارتهم أو ينتهي عندهم

أم أحمد امرأة ضخمة فيها رجفة تلقائية تُشعرك أثناء الحديث أنّها مستعدة للهجوم عليك وصرعك بالضربة القاضية .

تحب الموعظة وهي ليست أهلا لها وتدافع عنها بكل ما أوتيت من قوة، وتظن نفسها أنّها تحب الخير للناس ولكن

حسب تقدير كميل إذا الشيطان يحب الخير للناس هي تحبه. وإن أرادته خيرا حتما هو خطأ، فكما قيل عن صحبة الأحمق

حديث أم كميل وجارتها أم أحمد على حسب من يستمع من المارة هو خناقة تحدث.

بعد شربه لآخر رشفة من الفنجان أطفأ النفس الأخير من سيكارته قائلا : الفراغ اللي عمعيشوا مضر بالصحة النفسية

وما كاد أن ينتهي من نصحه لنفسه حتى سمع أصوات وضحكات ثم رنين الجرس المتكرر بطريق تعبر عن أحد إما

يريد إزعاجه أو من الماضي القريب الذي اعتاد عليه بتصرفاته و سماجته

كان بيت كميل كالضباب في الصباح الباكر، فبعد ساعة واحدة فقط من قدوم أصدقاء الطفولة والشارع الذي كان

يقضي وقته فيه وهو في الضيعة، تشكلت سحابة من الدخان الذي كان يتصاعد من سجائرهم التي لا تنطفئ

كلّ و همّه، خيبات مع ابتسامة ممزوجة بذكرى أحداث عاشوها معا وإمّا غضب وهزائم

الحياة عثرات .. كلّما تعثرت تقع، تنهض ولك الاختيار، لكن مع النهوض تأتيك عثرة أخرى أشدّ وأقوى

كأنّها باب مغلق لا ينفع لفتحه كل المحاولات والأدوات المستخدمة و يبقى مغلقا حتى تغيير وجهة المغامر الساعي

نحو طريق نجاة، كانت ضحكاتهم تعلو للحظات على مواقف استحضروها وخاصة تلك التي يستحقون عليها عقاب شديد

، لكن هم يفلتون من العقاب بوسائلهم الخاصة، إلاّ في بعض الحالات التي لا بدّ من العقاب حتى لو في آخر الليل

أو بعد مضي أيام ف الحساب يكون اكتمل واستوجب السداد، كميل بإشارة وغمزة منه لصديقه نادر يشير فيها

إلى الموقف وسرّيّته : شو أخبار الحبيبة، نادر الذي ما إن وجّه له السؤال حتى أخذ بالنواح على حاله وعليها

وسط تدخل الرفاق ، فقد كانت قضيته مفضوحة للجميع، كلّ منهم له قصة مع فتاة وكأنهم في سباق نحو الرذيلة،

سن الشباب الطائش والوضع المتردي ، لا مال ولا عمل ، عائلة فقيرة غير قادرة على الدعم المادي والمعنوي حتى .

فكلّ منهم يعاني من أمّه ورفضها لحبيبته إمّا لخلاف بينها وبين حماته المستقبلية أو لأنّها تريد إحدى قريباتها

والأهمّ تلك المبررات التي يخرجون بها بلهجتهم القروية الخاصة بمناطقهم، بلاها، أفي غيرا ، قدّ كل حجر تحتو

ألف بنت، رشّ التراب بيقلب بنات، ما عجبك غير بنت فلان، كان بيّها وكانت أمّها، وبزماناتو كان جدها ما قبل التاريخ

حرامي ، نسونجي ، وخشتو (أنفه) صرمي على حد تعبيرهم

وفلانة مطلقة يا للكارثة، فالموروث الشعبي في منطقتهم، لا يتزوج الرجل بامرأة مطلقة، عيب

أمّا على حد تعبير أمهاتهم في القرية، قدّ وحدي بتكون تحت زلمي وبتتركوا، إي شو ها لتعبير الفضفاض ؟!!

ينمّ عن بيئة مثقفة وواعية وتدرك معنى الإنسانية، والمّذلّ في هذا الفكر السائد عندهم وفي بعض المجتمعات

أنّ الرجل يستر على المرأة، وكأنّها كانت مفضوحة وجاء كزورو وأنقذها .

أخذ الجدال يتزايد بين الرفاق والأصوات تعلو، كثرت الفوضى وصار المنزل لا يطاق بالنسبة إلى كميل

استيقظ كميل صباحا في العاشرة على موجة من السعال الحاد الذي يرافقه منذ مدة، صوت المطر المصحوب بصوت الرعد

كان يشعره بالبرد، صوت الشتاء. تحرك الأشياء أصوات مزعجة تزيد من كآبته و وحدته. كلّ شتاء كان يقضيه دون تدفئة

إذا ما انقطعت الكهرباء. المدفئة الكهربائية هي وسيلته الوحيدة للدفء والكثير من الملابس المتراكمة التي يرتديها

ليتجنب بعض من البرد، كل هذه التفاصيل لم تكن لتؤثر عليه. فما كان يحمله قلبه من سواد. لما مرّ به في طفولته وشبابه

كافيا لصرف نظره عما يمرّ به من ظروف وتفاصيل تافهة كهذه حسب اعتقاده .

نقر متكرر على الباب، الكهرباء مقطوعة، صوت الرعد المتقطع ،هطول المطر المتزايد

يتردد في فتح الباب إلا أنها قفزت في باله فجأة. فسارع إلى فتح الباب. مع موجة سعال رافقته حتى الباب

مفسحا المجال لها مسرعا للعودة إلى سريره ليلتف في الغطاء ويرتجف أمام ضعف جسده والقشعريرة التي احتلت مفاصله

دخلت وراءه مسرعة لتساعده في وضع الغطاء عليه وتمكينه من الدفء. وضعت يدها بلطف على جبينه ، لا يوجد حرارة

فأشارت له أنها مجرد صدمة لخروجه من السرير في هذا البرد. غابت لفترة قصيرة وهو مازال يحاول أن يستجمع قواه

ويتمالك جسده المرتجف. عادت وبيدها كوب من الزهورات، أشارت إليه أن يشرب ليساعده على الدفء. تأمّلها وهو يشرب

فابتسمت بلطف_ كيفك

حاولت أن تشير له بأنّها على أفضل حال ولكن هو حاله لا يعجبها، هو مهمل وغير منظم أمام تصريحها ضحك من أعماق قلبه

_ أنتي هيك بتشوفيني ؟؟!! كان ضحكه يملئ المكان . تأمّلته باندهاش

لم يكن كميل كما صرحت. بالنسبة لمن حوله وللأمور الجادة. أمّا بالنسبة لحياته الشخصية كان أسوأ من ذلك

لم يكن ليهتم بتحسين نظامه الغذائي رغم كل فترات المرض التي يمر بها. ولا حتى بالتدفئة. كان همّه الدخان والقهوة

والذكرى. نعم الذكرى فهو معلّق بين ذكرى وأخرى. كان عبارة عن مارق. يعيش الحاضر بقلب الماضي وتفاصيله

يكتفي بتبديل الثياب والتاريخ والمكان والوجوه ل يعيش الحدث مرتين. بمزيد من الألم والحسرة واللوم، لماذا

هذه ال لماذا هي من كان يعذبه. لم يكن يرى. ربما لم يكن يريد أن يرى سوى ما يريد هو. فبعد نقاش طويل بينهما

وبالتحديد عندما تحدثت بلغتها عن الأمل انتفض غاضبا وكأنّ النار اشتعلت في جوفه. فكان لابد من اطفاءها بالكلام

أمل. عن أيّ أمل عمتحكي !!! أمل شو !! ولك أنا بخاف من كلمة أمل. ولك أنا كل ما قررت إنّو يكون عندي أمل

بيكسرني و بيكسر أملي، أمل شو ؟! يتابع ببرود حاد ومرارة كالأطفال : كان أملي يكون عندي أمّ .

أمّ تحنّ عليّ وتحبني . ما كان بدّي شي أكتر من هيك منّا ، كسرني وكسر أملي . عشت مشرد ضايع .

بالاسم عندي أمّ. يمكن لو ماعندي أمّ . كان أرحم من إني شوف الإنسانة الوحيدة اللي لازم حسّ معاها بالأمان

هي مصدر الخوف والغدر بالنسبة الي. كانت أنانية حاقدة. قلبا كلّو حسد وغلّ

إذا ما لاقت حدا تعضّو بتعضّ حالا. كلّ حياتا كانت لّتفرق بين الأخوة والعيلة. ما كانت يوم مصدر خير أو محبة

ياريت بس للحظة حسيت بالحب والحنان . أمّ ؟!! ولك آخ من هالكلمة.

لّما بسمع الحكي عن الأم بضحك. ولك إي . ينظر بعينيها الغارقتين بسيل من الدمع مؤكدا بغربة

بضحك وقلبي عميبكي دم . شو معناة أم . شو معنى أمومة

ولك الأم هي شي ما بينوصف أكبر من كل الحكي، مارح تفهمي كلامي أبدا

لسّا كل حدا بيجيب ولد بيعمل منو فأر تجارب وبيفرغ فيه كل عقدو غير جلسات التعذيب النفسية والجسدية

اللي بيمارسا عليه، وبالأخير بيحكي أمّ . أهلّ، ولك بدكن مية سنة ضوئية لتفهمو شو معناة أمّ

وكيف لازم تكون الأمّ واجباتا و شو لازم تعمل وكيف تربي

بس نحنا شعب ما بيستحي . نحنا فاقدي الحياء. فقدنا كل المفاهيم الحقيقية وعايشين بكذبة . كذبة التحليل والتبرير

وكذبة الواجب. وكذبة لا تناقش ، لا تسأل، وما بيصير. كذبة لازم تكون أعمى و بلا مخ ، لا تشوف ولا تفكر

عمبدأ هذا ما وجدنا عليه أباءنا .

شعر فجأة بعدم القدرة على الكلام ، أمام تسارع نبضات قلبه واختلاج جسده : غطيني ، غطيني

سارعت إليه لتساعده في الغطاء وهو يرتجف من شدة الغضب والحزن على ماض مرّ وكأنه مرحلة للتعذيب النفسي

لمّ ولنّ يكون لديه القدرة على المصالحة مع الذات أو مع ما حدث فهو يرفض فكرة التبرير. يرفض كل الأعذار

فلا وجود لها، كان يرى كل شيء على حقيقته. كان صغيرا ولكن لديه القدرة الكافية لمعرفة الحقيقة

فالوضوح سيد الموقف. رغم كل محاولات أمّه على تكذيبه فهي اعتادت على الكذب بكل حالاتها معتقدة أن الأمر ينتهي

بكذبة منها وحلفها لليمين دون رادع أو أي شعور بالذنب .

كان هو الحكم الذي يلجأ إليه والده لمعرفة الحقيقة الضائعة في حال حدوث جدل بين والدة كميل

وطرف النزاع الآخر من أخوته أو من دخل في شقاق مع أم كميل بسبب لسانها السليط وطوله،

بداع أو بغير داع فقد كان كميل الصغير المرافق لأمّه والشاهد عليها والصغير لا يكذب .

كان من واجبه عند رؤية الضياع في وجه والده الباحث عن الحقيقة أمام إصرار كل طرف على أنّ الحق معه

بالإضافة إلى لجوء الجميع على حلف اليمين ، إذا كان الجميع يقسم ، فمن هو الكاذب ؟ ! الجواب كان عند كميل

كميل الذي كان يقول القصة كما حدثت بتفاصيلها دون زيادة ولا نقصان و كأنها آلة تسجيل للحدث

إذا الذاكرة هي سبب معاناة كميل . هي سبب الألم ، ما أجمل النسيان في كثير من الأمور

كان يتمنى من روان أن تقول ولو كلمة واحدة ، في تلك اللحظة شعر بالحاجة إلى سماع صوتها، أبدا لم تقلّ شيئا

كانت خرساء ولم يكن سوى صوته وصوت الشتاء معا يتعاركان ويخترقان صمتهما وصمت المكان

وعند ارتفاع حرارته لدرجة الهذيان أخذ يردد اسمها من جديد. أورنينا. أورنينا

تأمّلته وهي جالسة إلى جانبه ثم أخذت بالقلم والدفتر وكتبت اسم أورنينا .

16

عندما يتحدثون عن الأمل، يشعر كميل بأنه نعش محمول تم إعلان نبأ موت صاحبه، كان شعور غريب كالجسد الهارب من ذلك

النعش يحاول أن يقنع الناس بأنه مازال على قيد الحياة، بأنّه موجود ولكن عبثا، لا أحد يراه ، الحقيقة هو لا يرى نفسه فكيف

للآخرين رؤيته، كل شيء كان يؤجج نيران كرهه والشتات، الخيبات، فشل الدراسة والعمل . ذكريات مؤلمة

وصوت أمّه. بل وجهها الذي كان يقفز إلى مخيلته عند كل شعور بالاحباط . كان يراه قبيحا. مستفزا كل ما به من ألم

ذلك الوجه المليء بالبغض. وتلك العينين الغبيتين، متناقضان غريبان ، المكر بحاجة لبعض من ذكاء

ولو القليل ، إلاّ أنها امرأة جاهلة، غبية وفي نفس الوقت تحب السيطرة، تستخدم كل ما تستطيعه من خبث

كان من شدّة كرهه لها يشبّهها بالحمار الذي يقود قطيع من الغنم، بنظره قد تكون الحمار إلا أنه لم ولن يكون هناك قطيع تقوده

فالكلّ متمرد على جهلها وحقدها دون مواجهة، أشدّ ما كان يؤلمه هو صمت والده، كان رجلا ضعيفا أمامها بالرغم من ادعاءه

الثقافة والحضور وتلك اللياقة التي يتعامل بها معهم ومع الناس، لكنه كان يخضع لأوامر وتوجيهات زوجته أم كميل حتى عندما

أرادت بيع ابنتهما شقيقة كميل لابن عمها مقابل ما عليهما من ديون لشقيق والد كميل ، الذي سارع لشراء عجل (ابن البقرة)

لأم كميل كي يغريها أكثر لتقديم ابنتها لهم، دون شروط الفتاة كانت في الثانوية ولم يكن ينوي تركها لمتابعة التعليم

فهو يرى أن الدواب التي في منزله بحاجة إلى من يرعاها وينظف من تحتها وبحسب أم كميل الجاهلة لم تكن ترى إلا مصلحتها

وهي أن تكون مرتاحة من الدين، لم يكن ظنّ العم ليخطئ بأم كميل كانت مكشوفة للجميع بقبح تصرفاتها وحديثها وكذبها

فمن كان ليوقف أم كميل ، جاهل وبيده سلطة، كان يؤلمه عدم قدرته على المواجهة، ليس عليه مواجهة أمّه فقط بل عليه

مواجهة والده أيضا الذي كانت تستنجد به، تلك المرأة بكل ما فيها من قبح و مشاهد تمثيلية تؤدي الغرض من العرض ،

الذي تهدف إليه، كان بين نارين، نار كرهه واحتقاره لها، ونار أنها أمّه

ذلك المسمى الذي يشبه طوق الحديد حول عنقه، يمنعه من التنفس والحياة، لا يستطيع كسره فهي أمّه

عندما فتح عينيه، لم يجدها إلى جانبه كما تركها عند اغلاقهما مرغما، لم يكن هناك صوت مطر ولا رعد .

الصمت يسود كل شيء حتى أعماقه، نهض من سريره ببطء، كان منهك القوى ضعيف الجسد لا طاقة له،

حاول أن يأخذ نفسا عميقا، لفت انتباهه أن الكهرباء ليست مقطوعة فعمد إلى احضار المدفأة وأحضر ملابس داخلية

ليغيّر كلّ ما كان يرتديه فقد كانت رطوبة الثياب تشعره بالبرد والقشعريرة مع كل حركة يقوم بها بعد مرضه،

كان تغييرها بحاجة إلى جهد أمام أنفاسه المتعبة وضعفه، جمع ثيابه المتسخة وأخذها إلى الحمام بتثاقل،

دخل المطبخ غسل وجهه بالماء مع تتابع أنفاسه المتعبة المنهزمة، كان منهكا وهو يحاول أن يملئ الابريق ليضعه على الغاز

شعر بالضياع وكأن المطبخ ، المنزل وكل شيء غريب عنه ، بحث عن ما يشعل به الغاز لم يجد، أخذ يحرك الأشياء بقرف

واشمئزاز ثم أخذ يبكي استسلاما منه لشعور أحمق لا يعرفه،

التفت وجدها واقفة بباب المطبخ وبيدها الخبز، لم يشعر بشيء، لم يكن عندها قد شعر أنّ عليه أن يخبئ دمعه أو يمسحه

عن وجهه وضعت ما بيدها، ثم أخذت القداحة من جانب الغاز حيث مكانها المعتاد، يبدو أنه نسي، بقي جالسا لم يتكلم

وهي تحضر الشاي. ثم أحضرت له الخبز وقطعة من الجبن وطلبت منه أن يأكل ليتناول الدواء، دون أن يلتفت إليها سألها

ببرود جاف مكسور : ليش عم تعملي معي هيك ؟؟!! وقفت للحظة ثم أحضرت الشاي لها وله ، جلست وطلبت إليه أن يشرب ،

فالتفت إليها، تأملته ثم أشارت له أنها ستجيبه بعد أن يأكل ويأخذ الدواء، فبادر إلى الأكل، أخذت تشرب الشاي،

أشارت له أنّها هي أيضا جائعة، تأمّلا بعض للحظة وهما يشربان الشاي فأشارت له أنّها هي تأكل لتستمر بقوة

حتى لا تحتاج أحدا لأنّ لا سند للإنسان إلا صحته وخاصة الصحة العقلية، استفزته، لكنّه ابتلع ما كان في فمه مغتاظا،

لتكمل أن الكل يعانون وليس وحده ، الكل عنده نصيبه من الهموم والمشاكل وأنّها تدرك أن ظلم القربى صعب

لكن يجب أن يكون الانسان قوي بمعالجته للأمور، ثم قالت له أن هناك أمر غير اعتيادي يجعله على هذه الحالة،

فهي مذ عرفته يشكو من أمر ما يجعله يؤثر وينعكس على صحته

تأمّلها، ثم أشارت له أنّ عليه أن يتحدث عن الأمر الذي يؤلمه، أجابها بسرعة: لا ما في سبب أبدا

تأمّلا عينيّ بعض، كلّ منهما يبحث عن ثغرة في فكر الآخر، ثم نهضت ، أحضرت الدفتر الذي كتبت عليه اسم أورنينا

ووضعته أمامه، قرأ الاسم بعينيه ، ابتلع ريقه عند شعوره بالصدمة والألم، فوضحّت له أنّه كان يهذي باسمها

وهذه ليست أول مرة، بل كلّ مرّة كان يمرض فيها كان يردد اسمها ويطلب منها المغفرة

نظرت في عينيه مؤكدة ، بإشارة منها مَن هي أورنينا ؟؟!!

بصوت خافت يكاد لا يخرج : روان اسمعيني ، ابتلع ريقه مترددا ضائعا، صعب إني احكي أيّ شي

أشارت له: لماذا محاولا انهاء الجدل: ما فيني

حاول التنفس أمام صعوبة ما يشعر به، الموقف ، التفاصيل، و كل ما قفز إلى مخيلته عندما استحضر الذكرى

نهض مسرعا ظنّا منه أنّه يهرب بعيدا، مابدي أتذكر أيّ شي

فوقفت مشيرة له باحتجاج: لماذا دائما تحاول الهرب، كلّ ما في حياتنا يلاحقنا، إن لم نواجهه ونحاول

إمّا تحطيمه أو إصلاحه، أخطاءنا المتراكمة هي سبب فشلنا في الحياة وشقوتنا

دقق فيها النظر بشفقة: أخطاءنا !!!!!

مستفهما بعنف: أخطاء شو ؟!! أمام رده العنيف هلعت فيؤكد لها بغضب: نحنا اللي عم ندفع تمن أخطاء غيرنا

عم ندفع تمن أفكار الناس ومعتقداتن القذرة المفروضة علينا ، عم ندفع كل شي حلو مقابل كل شي قبيح،

ب يحملوه ب قلوبن وعقولن ، وكل شي ب يعملوه، ما بدّن حدا يطلع عن مفاهيمن ، ولا أفكارن،

لازم نحنا نكون نسخة عن الشي اللي هنن بدّن ياه ، ما لازم نحب أو نعيش أو نحلم أو نتأمل غير على المقاس

اللي هنن ب يرسموه، كل شي على حسب العقلية اللي هنن فيها من دون حساب الزمان والمكان،

هاد العقل الرافض للتغيير. هاد العقل اللي ب يمشي لورا، نحنا خطأنا الوحيد هنن، عيبنا أنّهن موجودين بحياتنا،

وجودن هو الفشل اللي نحنا فيه ، وما عنّا القوة ل مواجهتن ، أصلا بالحالتين نحنا الخسرانين

يصمت لبرهة و كأنّه يحاول أن يلملم مشاعره ويستجمع نفسه بعد ارهاق طويل

جلس مستسلما: أنا كل ذنبي إنّي حبيت. ابتلع ريقه بصعوبة. حبي كان مجرد شعور. قلبي يدق بسرعة حسّ نار بوجهي

وسعادة لمّا بشوف وجها، وعيونا، كالحالم بها يتحدث: كانوا عيونا حلوين، ابتسامتا لطيفة، كل ذنبنا أنو الحب جمعنا

وكل شي فرقنا، البيئة، الحياة، الدين، الظروف، المجتمع اللي ما بيرحم

ابتسم بسخرية وقرف: ما بيكفي أنو الله واحد ومحمد واحد . لاااا

واستحضر المشهد وهو يرتجف بحرقة: أورنينا سامحيني ، وأخذ يبكي

يلوم نفسه ، ما كان فيني اعمل شي، فتح عينيه وكأنه يحاول أن يرى في ظلام حلّ به، وصوت الموس وسنّه حاضرا في

ذاكرته، كان مشهد ذبح أورنينا بذلك الموس على يدّ أبيها و أخيها وأولاد العمومة الثاثرين لدينهم وشرفهم ، حاضرا أمامه

وهي ترتجف ، لا ترى بعينيها إلا شبح الموت الذي يقف منتظرا قراءة الفاتحة، حتى يكون الذبح حلالا خالصا

أمام سنّ الموس وصوته، تخرّ أورنينا على ركبتيها منتظرة أن تغسل بدمها عار ألحقته بأهلها، منتظرة ما يسمى إقامة الحد

لم تكن تعلم أورنينا أن مجرد الخروج بالعاطفة هو خروج عن الحياة بكليّتها، كان حقد الرجال وتعنّتهم أكبر من العاطفة التي

يمكن لأهل أن يشعروا بها تجاه ابنتهم.

السؤال الحقيقي كان: هو الأسرة. الأهل. العائلة. هذه المفاهيم. هل تم تعريفها بالشكل الصحيح ؟!

التعريف الذي يتناسب والمجتمع الحالي. أم كل بيئة لها تعريف خاص بهذه المصطلحات. كيف لنا أن نتحدث عن عائلة

وهي تتخلى عن ابنها الذي تزوج من فتاة لا يرغبون بها ويحاربونه من أجلها. ويبقى كل العمر في غربة بين عالمين،

عالم الحب واختيار الزوجة وعالم الأهل ومحاولتهم تدمير عالمه الأول، فلا هو قادر على الخروج من عالمه الذي فرض عليه

ولا هو قادر بتدمير عالمه الذي اختاره، والصراع مستمر. كيف لنا أن نقنّع أنفسنا أولا بقدسية العائلة والأهل الذين يحاربون ابنتهم

ويقفون في وجهها في أي اختيار لها دون أن يقفوا لدعمها. وإنّ وجد من يدعمها يخرج الآخر لحربهم معا

فتكون بين خيارين إمّا العدول وإمّا حدوث الشقاق في العائلة. مفهوم العائلة هل حقا واضح. أم بحاجة للتوضيح.

ليس كمصطلح وإنّما كحالة متبناة، كحالة نشعر بها وندعمها ونقف لمحاربة كل مَن يحاول تدميرها أو المساس بها،

متى سيكون لدينا ذلك الصدق الذي يجعلنا نرى الأمور بعين الحقيقة، الحقيقة التي نخاف أن نقترب منها ولو بالمشاعر

فنعتبر رغبتنا بها حلم أو وهم أو خيال.

الحقيقة أننا مجردين من المعنى الحقيقي للمفاهيم التي نتغنى بها ونتباهى. نتحدث عن الحب ونحن لا نحب حتى أنفسنا

نتحدث عن العائلة وأول ما نقوم به خيانة العائلة بأقل التصرفات من جفاء و كره واحتساب مواقف، وعدم السؤال عن أفراد

العائلة بذريعة الظروف. وهو يعلم في أعماقه أنه يكذب. لأن الابتعاد خيّار اتّخذه في قرارة نفسه ويعمل على تنفيذه

هل حقا أيام الطفولة تمحى بسهولة. هل حقا أن الذاكرة لا تقبل إلا ما هو سيء وتحتفظ به .

كل السنوات التي مرّت لم يكن هناك ذكرى جميلة تشفع، كيف لعائلة بعد سنوات طويلة من العيش المشترك أن لا تحمل

بعضا من الشعور الذي يشفع. لو كنت أنا لركعت ركوعا طويلا وتذلّلت حتى آخر نفس.

أين الله في قلوبكم. أين الخوف على ذلك الابن الذي تدعون محبته، تحول إلى حقد وحرب لاختياره طريق خاص به

أين الشعور بضعف ابنتكم وحنانكم عليها؟ مات فقط لأنها خرجت على معتقداتكم، أمّ لأنّ الناس هي القاضي
وأنتم من ينفذ حكمه، ولو وقف كلّا مع نفسه و أعاد ترتيب أفكاره وحياته لوجدها تقوم على مزبلة من الأكاذيب

والأخطاء، وذلك المسمى نص مسرحي فاشل لم يكتب باحترافية، إنما ترك للممثلين المبتدئين حريّة الارتجال

فكان عرضا ساخرا، كسخرية القدر في كثير من المواقف،

صرخ باسم أورنينا مع استحضار ذبحها على يد من هم أهلها كما يذبح الخروف وبدم بارد

خرّ كميل على ركبتيه لا يقوى حمل قلبه ولا جسده مشدوها لاستحضار الذكرى التي تأكل جوفه كما تأكل النيران

كل ما تمرّ به، كذلك الجمر الدفين يخبّئ لهبه الكامن يحرقه مع كل نفس يأخذه ، عيناه لا ترى وهو في وسط الذكرى

شفتيه زرقاوان من شدّة الألم والبرد، تأمّلته بصمت وكانت تشعر بعدم القدرة على التنفس، حاولت أن تحرك شفتيها

ولو بعبارة واحدة لا صوت ولا حرف، أمام فقدانه لصوته كان صوتها لا قيمة له ولا بأيّ كلمة، بعد أن فاضت منه الذكرى

واستحضارها بوقت لم يكن بالمناسب أبدا، كيف لها أن تصدق أنّ هذا قد يحدث وهي تتمتع بالحرية الكاملة،

هي من أبوين لا همّ لهما سوى أمورهما الخاصة و أخوّة كلّ في شأنه، لم يكن أحد ليسأل عنّها

و كأنّها خُلقت بلا عائلة، أو بالمسمى عائلة. فهي أيضا من عائلة مفككة عاطفيا، دون شعور وانتماء للعائلة

17

العائلة تلك الخلّية التي تحتمل كلّ تأويل وكلّ مفهوم وكلّ تعريف

العائلة ذلك المكون الجميل المعنى ، المليء بالعاطفة والحب و الأشياء الجميلة ، أهمّها الأمان

ابتسمت وهي تمشي في ذلك اليوم البارد وحرارة فمها تخرج لتخترق الضباب بدخان زفيرها

الكثير منّا يفتقد لسند العائلة في حياته ودعمها. و كأنّ مفهوم العائلة هو أن يتزوج الرجل بامرأة تناسب ظروفه

المادية، وخاصة إذا كان مضطرا للإقامة مع أهله في غرفة لتبدأ الحرب الأهلية التي ما إن تشير إلى مسكن الزوجين

حتى تكون القصة معروفة دون شرح، حيث تتحول الأم إلى العدو الأول لابنها، كالأفعى تلدغه كلّما رأته

ليمتلئ جسده بالسّمّ ويستمر السّمّ بالتحرك في جسده حتى يحدث الشقاق بينه وبين زوجته، أو يهج ، وفي حالات

قراءة الفاتحة على روحه ، أمام ولولة، ريّا وسكينة بمعنى آخر أمّه وزوجته

الحب. السعادة. العائلة. الحقيقة. الوضوح. الصدق . لا وجود لها في حياتنا، هي عبارة عن مصطلحات نلّمع بها

زيف المشهد الحياتي الذي نحياه ، هي كأدوات التنظيف ولكن الفرق أن المنظفات لها مفعول قد يستمر لساعات

بل وأيام مع شعورنا بها وبالارتياح، لكنّ استخدامنا لهذه المصطلحات ماهي إلا تعبير لفظي بعيد عن الواقع

وليس له مفعول حتى أنه لا يشعرنا بالارتياح أبدا، بل معه نفقد التوازن للحظة، كالقيادة بسرعة وحصول طارئ

أثناء السير يجعلنا نفقد السيطرة وندخل حالة من الهلع وبذل الجهد لمحاولة إعادة السيطرة على المركبة،

فالخسارة هنا كبيرة لا تنحصر بالمادية بل قد تتجاوزه إلى خسارة الحياة، وحديثنا عن الصدق والأمانة والحقيقة

والوفاء وهذه المصطلحات الإيجابية، هذه المنظفات التي لا قدرة لنا على شراءها

ولا استخدامها، وإن تجرّأنا على محاولة لاستخدامها وجدنا مجتمع بأكمله يقف في وجهنا، يعلن حربا

لا تنتهي إلا بالعدول أو النفي خارجه. أو قراءة الفاتحة. ربما

العائلة. أبّ. أمّ. أولاد. وكلّ له دوره إلاّ أنّ دور الأمّ يأخذ في كثير من المجتمعات الصغيرة في البيئة التي تعدّ منغلقة

فكريّا والتي تتبنى موروث شعبي تقليدي وفي كلّ المستويات، ليس فقط تلك التي تعتبره جزء من الدين كما يدعي البعض. أبدا

فالكثير من المجتمعات التي يعيث الفساد في الأسرة لا شأن للدين بها. وإنما هي عبارة عن معتقدات تحملها الأم وتعمل على ارضاعها

لأبنائها. كما كانت تفعل أم كميل. كانت امرأة جاهلة تتجرد من الأمومة وبالرغم من ذلك تتحدث عن الأم والأمومة بمشهد لا يتناسب مع

الواقع. أشدّ ما كان يغيظ المتلقي هو حديثها عن التربية وبنات الناس لتقوم باللاشعور بهزّ رأسك بسخرية مما تقول

الغرور ؟! حقا كانت تعتقد نفسها مثالية

ألم تكن ترى اهمالها لبيتها وزوجها الذي يعود من العمل لا يجد ما يأكله. هذا إن وجدها أصلا. فلم تكن قد انتهت من زياراتها بعد

كانت تحمّل المسؤولية لطفلة في العاشرة من العمر. هي من كان عليها أن يغسل ويجلي ويطبخ حتى وإنّ كلّفها

ذلك عدم الذهاب للمدرسة أمّا بالنسبة للبخل فحدث ولا حرج. كميل كان يعلم أنّ ما تقوم به من إخفاء الخبز والسكر

من طريقه هو وأخته ليس بخلا إنما بغضا، بل كان يقول لو كانت زوجة أبيه كان الأمر أفضل بألف مرة،

على الأقل كان وجد لها عذرا. غسل به قلبه المتساءل عن طبيعة تلك المرأة المفروضة عليهم تحت مسمى الأمّ .

الزواج . مسألة ومعادلة صعبة الحل. بالنسبة له. ف كيف لرجل أن يتزوج من امرأة تحمل كل هذا البغض وهذا السواد

كيف بعد كل هذه الحرب بينهما نفسيا وجسديا من طولة لسان ومشادة كلامية تتطور للضرب والعنف والشتيمة. كيف لهما أن

يذهبا إلى فراش واحد. كيف لهم أن ينجبوا أطفالا وهما ليس مؤهلين أن يكونا زوجين بينهما من الروابط الواجبة إنسانيا فكيف

في إطار الزوجية. هما لم يكونا ليصلحان كأفراد بمعايير مقبولة نوعا ما، فكيف لهما أن يكونا زوجين ومن ثم والدين أو أبوين

كيف لهما أن يربيان وهما يفتقران المفاهيم والعاطفة وكل ما تحتاجه تلك المؤسسة من تنظيم وأسس لإنشائها واستمرارها

هي قضية فاشلة إذا، كغيرها من القضايا التي تعتبر من المصطلحات ممكن الحديث عنها والحلم بها. مع استحالة وجودها

فإنّ وجدّت زوجين وأبوين صالحين مع أولاد مشبعين بالعاطفة والحب. لنّ يرحمهم المجتمع الذي سيتدخل ولو من ثغرة

هي مواجهة الأولاد للظروف التي وضعوا بها وافتقار الأهل للإمكانيات، بل وربما الإحاطة والعلم بما يحدث مع الأولاد

الكثير منّا يعمد إلى إخفاء ما يحدث معه عن والديه. لسبب ما. أو قد لا يكون هناك سبب. هكذا

لكن كميل كان سبب ابتعاده عن أهله هو أنّه لم يكن يشعر يوما أنه ينتمي لعائلة، لم يكن هناك أبدا ذلك الشعور

بأنّ أحدا يحبّه أو يهتم لوجوده أو ما يجعله يعود بعد غياب. حتى في كل حالات ضياعه والشتات.

كان مكسورا منذ الصغر ولم يجد من يجبره أبدا. رغم كل المحاولات لجبر نفسه ، فمع كلّ أمل له كان يكسره

ويكسر أمله ذلك المسمى قدر، أصعب ما اكتشفه كميل في رحلة حياته هي محاولة ترميم الذات. العاطفة. الشعور

لم يكن لأحد قدرة على إصلاحه. ولا أحد. هي محاولة تشبه من يريد مسك شعاع من الشمس والاحتفاظ به كذكرى

. أو أن يصطنع ظلا آخر يشبهه، متناسيا أن اسمه ظل . صحيح أن ماء البحر المالح بكليته وحجمه لا ينفي صفة العذوبة

عن الماء ككل ولكن لمن يستطيع، أن تسقط. كلنا يسقط. ولكن أن تنهض دون خدوش عالقة في الجسد أو الروح.

هي المعضلة، هنا المسألة. الإرادة. وبالرغم منها لابدّ من أن يبقى شيء من الذكرى الكامنة في جزء منّا.

لابدّ لها أن تنتفض في بعض المواقف. فتستحضر الألم

الانتقام فيه لذة، ولكن هل فيه شفاء، هل فيه مسح للذاكرة بحيث لن تعود لتؤجج نيران كامنة

دوران الذات حول لماذا. وكيف. وكل ما يأتي بعدهما من حروف ترسم كلمات لتصيغ سؤالا. هي مسألة كل انسان وقضيته

الأساسية. نحمل الخطيئة بثقلها وندور بها. نضعها أمامنا. على الطريق السائرين فيه وكأنّنا ننشدها. وكأنّها الهدف.

بالرغم من أنّها من الماضي وعلينا تركها إلاّ أنّ الطبيعة التي نشأنا عليها في المجتمع. تجعلنا نستنكر الأمر إلا أنّنا نقوم به

متناقض غريب، ننتقد أمر نقوم به. نتحدث عنه باستنكار ونحن فيه. كأنّ هناك شخصين منفصلين يقومان إحداهما بالقول

والثاني بالفعل. بالرغم من أنّ ما يقوم بهما معا شخص واحد.

18

مازال ذلك الصوت يسير في داخله. مع كل ذكرى تغتاله. ذلك الصوت كأنّه الجمر يتحرك ليرسم وشما محفورا،

ليس لشيء أن يزيله ، قالت له : وهي تركض وراء جنازته خذني معك، خذني

إنه ابنها الشاب الذي توفي برصاص الغدر، كان لها زمن طويل لم تره، كان مشغولا بالدراسة فهو مهندس معلوماتية

أبويه يعملان كل النهار بكل ما باستطاعتهما. ليؤمّنا له كلّ ما يلزم من راحة ومال. المهم أن يدرس ويكون له مستقبل

وناجح دون أن يحتاج أحد، مع ذلك لم يسلما من نظرات الناس في المجتمع والبيئة التي ينتمون إليها والتي تعبّر

عن فكر ضيق ومفاهيم نشأت بصورة عشوائية، كانت تختلف الصفات التي يطلقونها عليهما. بيئة قائمة على السخرية

من الآخر والثرثرة والتدخل فيما لا يعنيها. المسألة الغريبة كيف يسمحون لأنفسهم بالتدخل بشؤون غيرهم ولا يقبلون لأحد

أن ينظر إليهم. ولو بالتفاتة. ليبدأ النقد والشتم والتمتمة المبطنة وتداول الخبر: فلان رمقنا بنظرة. وشو عيملينلو؟! وشو هالحسد؟!

وعبارات وأخبار ما أنزل الله بها من سلطان ، كان كميل. يسير في جنازة هذا الشاب بأعين لا ترى. من الدمع .

وصوت أمّه المفجوعة التي تناديه متوسلة متذلّلة له: خدني معك يا أمي خدني. كان صوتها يكاد يسحب الحياة من كميل

تسائل: هل حقا هذا الشاب الذي لديه نعمة الوالدين وعطاءهما وحبهما رحل وأنا ؟! أنا ؟!! أنا !!!

يشّد على قلبه وفكّيه ظنّا منه أنّه يعّجلّ بعملية الانفجار بعد الغليان الذي يشعر به، يصرخ بأعماقه

غضبا وكرها لقدره الذي وضعه في بيئة لا يشعر بالانتماء إليها. شعور مؤلم أن تكون كنقطة في عالم إشارات الترقيم

ولكن هذه النقطة تختلف كل الاختلاف عمّا هو متعارف عليه فكرا وثقافة، عقلك تبناها رغما عنك.

لأنه وجد فيهما النور الذي يناسبه عاطفة، ربما رؤية الأمور التي تدخل في ميزان التقييم تختلف كلّ الاختلاف

عمّا يدور حوله من أحاديث وكلام فهو لم يكن يرى ما يقوله الناس عن والديّ لؤي المتوفي وسعيهما بالعمل

لتأمين أبنائهم وسخريتهم منهم إلاّ رؤية القبيح للشيء الجميل وبأنّه معيب، أو رؤية من لا طاقة له بالعطاء

ولا بإمكانية التضحية ليجعل من الأمر وكأنه تهلكة للنفس أو أمر ليس له نتيجة مشيرين بذلك إلى أنّ

الولد لا فائدة ترتجى منه ولا نفع بعد أن يكبر ويتزوج متناسين أنّه قال وما جزاء الإحسان إلا الإحسان وهذا لمن يعقل

فكل ما يقال ويتداول هو محاولة لإقناع الذات. كما فعل الثعلب عندما وجد صاحب الكرم متيقظا في رعاية رزقه حارسا

أمينا على زرعه فما كان من الثعلب إلا انتقاد العنب بأنه ليس بموسمه ولا يؤكل بعد فشله بالوصول إليه

مبررات كثيرة للتعتيم على الحقيقة التي لن يستطيع أحد قتلها في مَن يراها،

استنادا إلى المفاهيم الصحيحة التي توضحت له ودون محاولة منه للتلاعب فيها. أو قصر الرؤيا على زاوية تعنيه هو بالذات

دون الأخذ بعين الاعتبار صاحب العلاقة وقناعاته ورؤياه للأمر. فمن يرى من الشمال. تختلف رؤياه عن من يرى من الغرب

بل حتى الهدف من الرؤية وتحديدها يغير من كل شيء.

كميل وصوت أم لؤي. مرّة إلى جانب القبر جالسة ومرّة مستلقية إلى جواره تطالبه بأنّ يأخذها إليه، تحتضنه وتعاتبه.

لماذا لم يأخذها معه، ينتفض كميل محتجا ليصرخ في ذلك البيت وكأنه أمام أمّه يستحضرها ليعاتبها بغضب

بشو لؤي أحسن مني لحتى أمو تحبو وأنا لا. بتعرفي أنو صوتك لساتو عايش جواتي وأنت عم تدعي عليّ وأنا طفل ظغير

ولك أنتي أمّ أنتي ؟!!! كان السؤال الذي يعذبه كيف لأمّ أن تدعو على أولادها. كلما اغتاظت من أحدهم أو من موقف تصرخ بالدعاء

عليهم. وكأنهم أعداءها. الله ياخدك. الله يشلّك. الله يعدمني ياك. ليس الدعاء وحده كان المشكلة. بل الطريقة التي كانت تدعو بها

اللؤم الكره تعابير وجهها. صوتها. نظرة عينيها. كل ما يصاحب الدعاء كان يستفزه. يثور. يغضب. هذا غير الصفعات الغادرة التي

كانت تفاجئهم بها على وجوههم. بلا رحمة أو شفقة. بل كانت تفتخر بذلك أمام جاراتها فتحدثهم عن ما قامت به وتتلذذ معبرة عن

حلاوة الانتصار بحركة من شفتيها. هل حقا الجهل ؟! رؤية كميل للموضوع ليس للجهل علاقة أو ليس وحده على الأقل السبب

وإنما انعدام العاطفة. كل شيء كان في تلك البيئة لم يكن ليعجبه. فقد كان مفهوم الحوار معدوم بالنسبة للكبار فكيف للأم أن تستخدمه

وسيلة مع أبناءها. كان الضرب هو الحل , لا للحوار . الذي كان بين الكبار يشبه التجهيز لعملية حربية

ف حين اجتمعوا للتشاور في موضوع الزراعة كان الحوار بمثابة مزاد. لمن يرفع صوته أكثر ويقاطع الآخر. ويحتج دون أن يفهم على

ماذا هو يحتج.

تفاصيل، ذكريات، مواقف، وكأنّه يجّتر كل ما مضى، يجترّ حياته بأكملها كلّ ما شعر بالوحدة وسيطرت عليه الرغبة بالانطفاء،

العالم أمامه بأخطائه وانكساراته، نجاحه وأضوائه ومغرياته، بالرغم من ذلك انكفئ على نفسه في زاوية تسمى الذكريات

والتقوقع داخل الماضي، غريب طبع الإنسان ينتظر الغد ويخطط للمستقبل وعند الوصول، يمضي معظم وقته يفكر بالماضي

دون أن يشعر بلذة الوصول ويتمتع بما حقّقه، ربما حقق أمور أخرى أكثر نفعا له مما كان يتمناه ولكن الإنسان وأحواله،

ف أيامه كالفصول مرّة تتعاقب عليه دفعة واحدة في فترة قصيرة، ومرّة ينعم بالربيع دون خريف يعكّر مزاجه أو عاصفة شتاء

أو حتى صيف حار يحرق أنفاسه، الإنسان ابن الحياة أنجبته، مرّة تلقي به في أحضان المعاناة ومرّة تعود لتحتضنه

كالأم الحنون بلطف، فبعد كل تجربة، قدرته على تجاوز ما قد يواجهه وما قد يمرّ به لاحقا،

تتوقف على ثقافته اليومية، وما تلقّاه من خبرات سمعية وبصرية في محيطه الاجتماعي، و رغبته في التبرير وترميم ذاته

في محاولة منه للاستمرار،

بطل الرواية بالرغم من كل ثقافته وحياته التي تشبه تقلبات الطقس. إلا أنّ مشاعره كمرآة تشظّت وكان من الصعب عليه تجميعها

فقد توالت عليه الصدمات، كانت ك مطرقة تتعمد كسّره بل طحن ما يمكن ترميمه لتنثره ذكرى مؤلمة مع أول غفوة في القدرة على

مواصلة المسير. المسير في الحياة التي قد لا تستمر إلاّ بالتجاوزات، عليك أنّ تتجاوز ندمك وتتجاوز هزيمتك ويجب أيضا أن

\ تتجاوز بعض الأشخاص ومنهم أنت، أنت الذي يتمرد عليك في بعض من الوقت فيمنعك من إكمال الطريق والعمل على

تشتيت الهدف في محاولات الوصول.

يقال قديما أنّ المقبرة لا تنغلق إلاّ على ثلاث، إلا أنّها حديثا لا تنغلق إلا على وطن.

روان كأيّ امرأة سورية عانت من ويلات الحرب، لم تكن يوما تعتقد أنّ خسارتها تساوي قدرا معينا من الشعور،

فالمسألة هنا لا تقاس بالمقدار، كان شعورا كلّيا عاما وهو خسارة وطن. عائلتها هي الوطن بالرغم من البقعة

الجغرافية التي تحيط بها وعلى امتدادها، كل مكان نرحل إليه نحن قادرون على أن يكون لنا بيت، جيران، أصدقاء

وبقعة جغرافية جديدة تضم هؤلاء، لكن العائلة هيش من يعطينا دفء الذكريات، بتفاصيلهم العشوائية البسيطة

بكل ما فيها من حلو ومرّ، هي من يعطينا الشعور بالانتماء.

الحرب والهجرة مرادف للرحيل والفراق، فالحرب جعلت الفراق قدرا، في ذلك الوقت كان المشهد مفجعا كئيبا،

سحب الدخان حجبت الضوء، الهواء مشبعا برائحة الموت ، كل شيء يئن، الحي يمطر أحزانه،

أمّا تلك الطالبة القادمة من مدرستها تخطو نحو شارع ليس هو الشارع الذي تعرفه و البيت لم يعد بيت، كان

كل شيء ليس بشيء والعائلة ليست بعائلة، وهي لم تعد هي، كانت نقطة تحول في حياتها، نقطة تغير عالما بأكمله لإنسان

لا يريد التغيير، يعيش الرضا بأقل التفاصيل حتى لو كانت مؤلمة، عندما تكون فقيرا لا يمكنك حتى اختيار كيفية

الهروب، هل كان الموت بطيئا حينها أم كان سريعا لدرجة أنه نسي أن يأخذها مع العائلة التي سارعت بإفراغ حقائبها

المثقلة بالنزاع حول طريق العبور في الحياة

20

السعادة ليست مكانا بل هي اتجاه. برناردشو

القهوة سعادة. عشق. إدمان. ربما رئة ثالثة يلجأ إليها كميل في أيّ حالة يشعر بها أو بدون شعور، ربما كانت أداة انتحار

ف بلزاك مثلا مات بسبب القهوة، وكميل يسير باتجاه الانحناء للموت، كلّ ما مرّ به كان مؤلما، الكل يعيش الألم في حياته

إلاّ أنّ المتلّقي يختلف. هنا المتلقي كميل، كميل ابن الطفولة المعذبة، كميل كسير القلب، اغتيل حبه في مهده و أشعل تفاصيله نيران

الندم والحسرة والشوق لمن فارق، كان فراقا كالسقوط من أعلى إلى ما لانهاية، واليوم هو عند مفترق الطرق

نقطة التقاء الماضي بألامه وذكرياته التي تجلده في كلّ زاوية منها حين تختلي به، السعادة ليست مكانا وإن كانت كيف له أن

يشعر بها وكلّ الزوايا مؤلمة، كان يسير على الطريق مثقلا بروح عارية مرّت بها الفصول دون توقف ليمضي بالتفاصيل

وكأنّها أوراق سقطت جاءتها زوبعة حملتها معها لتندمج به و يبقى يدور معها وتدور معه في دوامة لم تعلن موعد

نهايتها، ولن يجرؤ على مقاومتها، وقف على ذلك الطريق المسمى طريق الحياة في نقطة فاصلة بين أمس و بداية

مرحلة جديدة، البداية دائما تكون بعد مواجهة. اعتراف. سقوط. تجاوز. تجاهل. لكنه اليوم بدأ بعد فتح حقائب قلبه

المتخمة بالانتظار، بدأت بلملمة ما انهمر منه على الأرصفة من ألم المسير، بدأت بمحاولة إغلاق الباب على رجل

لولا المرايا لنسيّ ملامح وجهه المؤلمة بعد أن جاءته الخيبات دفعة واحدة، رجل لا يدرك لعبة القدر، لعبة الموت

لعبة الحب، روان كانت الوجه الآخر في محاولة منه لفهم اللعبة على مختلف الزوايا وإن كانت مؤلمة،

هو.....هي

كميل وروان من زوايا الحياة المؤلمة في نقطة التقاء تسمى الحب.

نهاية الجزء الأول من رواية كسير

القلب

يتبع.....

إيمان حناوي 2022